أطوار خلق الجنين وإثبات القدر

في ضوء حديث عبد اللّه بن مسعود

(رضي الله عنه)

(دراسة تحليلية)

إعـــداد

عائشة محمد نور الدين محمد عبد المذكور

مدرس الحديث الشريف وعلومه

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

أطوار خلق الجنين وإثبات القدر في ضوء حديث عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه-

(دراسة تحليلية)

عائشة محمد نور الدين محمد عبد المذكور

قسم الحديث الشريف وعلومه، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، جامعة الأزهر الشريف، جمهورية مصر العربية.

الايميل الجامعي: aishamohamed.٧٩@azhar.edu.eg

الملخص:

تنوعت طرق المحدثين والعلماء في سبيل حفظ السنة النبوية، وخدمتها، وكانت الدراسة التحليلية أحد المناهج، والوسائل التي اتبعها العلماء في تقريب تطبيق السنة النبوية، وربطها بعلوم ومستجدات العصر الحالي بما يسهم في تعزيز ربط المسلم بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وجاءت هذه الدراسة التحليلية حول أطوار خلق الجنين وإثبات القدر في ضوء حديث عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه– قال حدثنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:" إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا..." تناولت تخريج الحديث، وبيان معانيه، وفهم المتقدمين والمعاصرين للحديث، وكونه أصل في إثبات القدر، والتحذير من سوء الخاتمة، واستنباط أهم الفوائد التي اشتمل عليها.

وتتمثل دلالة الحديث في بيان عظيم قدرة الله تعالى في خلق الجنين في بطن أمه، وأطوار وزمن تخلقه من النطفة إلى العلقة والمضغة و بديع تصويره في أربعين يوما، ونفخ الروح فيه، وهذه الأوصاف لأطوار الجنين لم يقف عليها العلم الحديث إلا بما توفر له من أجهزة، وآلات حديثة في القرن الماضي أي بعد ثلاثة عشر قرنًا من الهجرة النبوية . وأن نفخ الروح يكون بعد التصوير والتخليق في طور المضغة، والأحاديث دلت على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر.

كما أن الحديث أصل في إثبات القدر ووجوب الإيمان به، فقد سيق لبيان الخاتمة، وأن كتابة الأجل والرزق والعمل وحاله من الشقاوة أو السعادة في بطن الأم موافق لما سبقت كتابته في اللوح المحفوظ، ولا تؤثر الكتابة على العمل؛ لأن هذه الكتابة هي بيان لعلم الله السابق، وأن كلا ميسر لما خلق له من الأعمال التي هي سبب السعادة أو الشقاوة، وأن السعادة المقصودة في الحديث هي الإيمان، والشقاوة المقصودة هي الكفر، وفيه التحذير من سوء الخاتمة، فينبغي عدم الركون إلى الأعمال، وترك الالتفات إليها. والحث على المسارعة والمداومة على العمل الصالح؛ لأن الإنسان لا يعلم متى يحين أجله.

الكلمات المفتاحية: أطوار الخلق، خلق الجنين، القدر، حديث عبد الله بن مسعود، دراسة تحليلية.

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله... أما بعد:

فقد تنوعت طرق المحدثين والعلماء في سبيل حفظ السنة النبوية، وخدمتها، وتعددت مناهجهم، وسبلهم في إبراز عظمة السنة النبوية، وما تشتمل عليه من إعجاز يؤكد أن مصدرها الوحي الإلهي، وكان بيان فقه الأحاديث النبوية وبيان معانيها، وما تضمنها من أحكام، وتشريعات وتوجيهات، وآداب، وأخبار ماضية، ومستقبلية، وحقائق كونية،... وغير ذلك، هي الثمرة الحقيقية التي يجنيها الباحث، والدارس، والقارئ، والمتعلم للسنة النبوية، وقد أسهم علماء الحديث عبر العصور في شرح الأحاديث وبيان فقهها، وتنوعت طرقهم ومناهجهم حسب الحاجة، بين الاقتصار على بيان معاني الألفاظ والمفردات البعيدة عن الفهم فيما يعرف بعلم "غريب الحديث"، أو التوفيق بين الأحاديث المتعارضة ظاهرًا، أو بيان الجانب الفقهي، وتنوعت أيضًا بين الشروح المختصرة على المعنى الإجمالي، والشروح المتوسطة مثل شرح الإمام النووي على صحيح مسلم، والشروح المطولة والتي تميزت بالتكامل، والجمع بين العلوم في شرح الحديث مثل فتح الباري لابن رجب الحنبلي، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني، وعمدة القاري للبدر العيني، وغيرهم، وكان شراح الحديث المتأخرون هم أول من وضعوا بذرة الدراسة التحليلية للحديث النبوي سندًا ومتنًا، وأصبحت الدراسة التحليلية أحد المناهج، والوسائل التي اتبعها العلماء في تقريب تطبيق السنة النبوية، وربطها بعلوم ومستجدات العصر الحالي بما يسهم في تعزيز ربط المسلم بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وصلاحية الشريعة الإسلامية وملائمتها لكل زمان ومكان، فأردت من خلال هذه الدراسة التحليلية الإسهام بجهدي المتواضع في ذلك.

أسباب اختياري لموضوع البحث:

وقع اختياري على هذا الحديث واختصصته بالدراسة التحليلية لما يتسم به من أمور:

١- الإجماع على صحته، وكونه أحد أصول الأحاديث في اختيار كبار الأئمة.

٢- ما تضمنه من الإخبار بالمبدأ والمعاد.

٣- ترسيخ ركن الايمان بالقدر خيره وشره، والتحذير من سوء الخاتمة.

٤- ربط ما توصلت إليه العلوم الطبية الحديثة من أطوار خلق الجنين في بطن أمه وزمن تخلقه بما هو ثابت في السنة النبوية، ودلالة ذلك على الإعجاز العلمي في السنة النبوية، و أن مصدريتها الوحي الإلهي .

مشكلة البحث:

ما تواجهه السنة النبوية في الآونة الأخيرة من هجمات عليها بدعاوى مزيفة منها مناقضة السنة النبوية للعلم الحديث، وهذا باطل بل إن كثير من الاكتشافات العلمية جاء موافقا لما ورد في السنة النبوية، ومنها أطوار خلق الجنين وزمن تخلقه.(موضوع البحث).

وما يظنه البعض من أن الدراسة التحليلية لا تقدم جديدًا يستفاد منه خاصة وأن الاعتماد فيها على كتب الشروح السابقة، ولكنها تسهم بأمرين:

الأول: الحفاظ على ما لدينا من علم وتجديد أسلوب عرضه بما يتناسب وحاجة الناس.

والثاني: ربطه بما استجد من علوم ومعارف معاصرة سواء كانت علمية بحتة أو تربوية، ومحاولة استيعاب كل ما يدور حوله الحديث رواية ودراية وفقها، وتوجيهات، وفوائد، ومناقشات، وردود ... في مكان واحد.

أهداف البحث:

١- تعظيم السنة النبوية باعتبارها وحيًا من عند الله تعالى.

٢- درء تعارض السنة النبوية مع العلم الحديث.

٣- بيان مراحل خلق الجنين كما وردت في السنة النبوية.

٤- ترسيخ ركن الايمان بالقضاء والقدر في النفوس، وبيان أثر ذلك على حياة الفرد والمجتمع.

الدراسات السابقة :

وقفت على بعض الدراسات الأكاديمية، والأبحاث العلمية التي تناولت موضوع الدراسة منها:

١- مسائل العقيدة في حديث (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا) إعداد الباحث/ أحمد هارون محمود الخولي رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية- غزة كلية أصول الدين- قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ١٤٣٤هـ- ٢٠١٤م، وقد تناول الباحث فيه المسائل الاعتقادية.

٢- خلق الإنسان في القرآن الكريم د منشد فالح وادي، وم.م جميلة روكان ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م وكان تركيز البحث فيه حول الآيات القرآنية التي تناولت خلق الأنسان منذ خلق آدم عليه السلام من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، أما موضوع الدراسة هنا يتناول تخلق الجنين في بطن أمه، مع إثبات القدر.

٣- أطوار خلق الإنسان في القرآن بين الإعجاز التربوي والإعجاز العلمي

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/٠/٦٢٥٧٨/#ixzz٧٩١Mj٨٤tn

٤- دراسة موضوعية لأحاديث تخلق الجنين في ضوء حقائق علم الأجنة الحديث – د. عبد المنعم التمساني، وقد وضح فيه الشبهات الواردة على حديث ابن مسعود، وغيره، والرد عليها، حول زمن تخلق الأطوار الأساسية للجنين، ولم يتناول الجزء الثاني من الحديث وهو إثبات القدر.

رابط الموقع

www.msf-online.com/%D٨%AF%D٨%B١%D٨%A٧%D٨%B٣%D٨%A٩-%D٩%٨٥%D٩%٨٨%D٨%B٦%D٩%٨٨%D٨%B٩%

٥- أطوار الجنين ونفخ الروح د عبد الجواد الصاوي مقال بموقع الهيئة العلمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وقد تناول الدكتور في هذا المقال العلمي الربط والتوفيق بين ما أثبته الطب الحديث، وبين ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية حول مراحل خلق الجنين، وإظهار الإعجاز في ذلك، وغلب على البحث الجانب الطبي، ويوجد المقال أيضا على موقع الدكتور عبد الجواد الصاوي رابط الموقع
www.dr-sawi.net/%D٨٪A٣٪D٨٪B٧٪D٩٪٨٨٪D٨٪A٧%D٨٪B١-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪AC%D٩٪٨٦

خطة البحث :

جاء هذا البحث في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة

المقدمة: وشملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع، ومشكلة البحث، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج البحث.

المبحث الأول: دراسة الحديث رواية ودراية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تخريج الحديث.

المطلب الثاني: درجة الحديث، ومنزلته.

المطلب الثالث: بيان لرفع الإشكال الوارد حول الحديث من قوله (فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ...) هل هو من كلام الرسول ﷺ فيكون مرفوعا؟ أم مدرج من كلام ابن مسعود فيكون موقوفا؟.

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي للحديث.

المبحث الثاني: إظهار الإعجاز في مراحل خلق الجنين، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مراحل خلق الجنين كما وردت في حديث عبد الله بن مسعود.

المطلب الثاني: الاختلاف في فهم الحديث النبوي الذي رواه عبد الله بن مسعود حول زمن أطوار خلق الجنين، وفيه:

أولاً: ألفاظ الروايات التي اعتمد عليها العلماء في فهم الحديث.

ثانياً: فهم المتقدمين من العلماء للحديث.

ثالثاً: فهم المعاصرين من العلماء للحديث.

المطلب الثالث: أوجه الإعجاز في الأربعين يوما الأولى.

المبحث الثالث: الإيمان بالقضاء والقدر، وأثره على الفرد والمجتمع، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القضاء والقدر.

المطلب الثاني: أثر الإيمان بالقضاء والقدر على الفرد والمجتمع.

المطلب الثالث: سبق الكتابة وأثرها في السعادة والشقاوة، وزيادة الرزق والأجل.

المطلب الرابع: التحذير من سوء الخاتمة.

المبحث الرابع: الفوائد المستنبطة من الحديث.

الخاتمة: وبها نتائج البحث، وأهم التوصيات.

منهج البحث :

اتبعت المنهج الوصفي التحليلي المقارن [1] ، حيث اتبعت الخطوات العلمية الآتية:

١- تحليل الحديث(محل الدراسة) ودراسته دراسة تحليلية مشتملة على: تخريجه، وبيان طرقه، وبيان معاني ألفاظه، والمعنى الإجمالي له.

٢- شرح الحديث شرحا تفصيليًا، بالتأصيل اللغوي والبيان الاصطلاحي ،لبعض ألفاظه، مع بيان ما دلت عليه من معانٍ، وتوجيهاتٍ، ومناقشة بعض النصوص عند الحاجة، واستنباط الفوائد.

٣-اعتمدت في الإشارة إلى اختلاف ألفاظ الروايات ما بينه وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري.

٤- مقارنة آراء العلماء المتقدمين والمعاصرين حول فهم الحديث، مبينة وجهات النظر لكليهما، وأوجه التقريب بينهما.

٥-دفع بعض الإشكالات الواردة حول الحديث مع التوفيق بينه وبين الأحاديث الأخرى حول مفهوم الحديث

٥-عزو الآيات القرآنية إلى موضعها من القرآن الكريم بذكر اسم السورة، ورقم الآية، وتخريج الأحاديث النبوية، والآثار تخريجًا علميًا من مصادر السنة الأصيلة مع ذكر بيانات التخريج.

٦-توثيق النصوص والنقول بعزو كل نقل إلى مصدره مع وضع علامة تنصيص في حالة نقل النص بلفظه دون تصرف ، وإن كان غير ذلك أشير إليه بكلمة(بتصرف) .

٧-عقد خاتمة لأهم النتائج ، والتوصيات.

وأسأل الله تعالى أن يرزقنا التوفيق، والسداد، وأن يجعل بحثي خالصا لوجهه الكريم.

* * * * * *

(١) المنهج الوصفي التحليلي :هو استقصاء ينصب على ظاهرة من الظواهر كما هي قائمة في الحاضر؛ بقصد تشخيصها وكشف جوانبها، وتحديد العلاقات بين عناصرها، أو بينها وبين ظواهر أخرى، ولا يقف عند حدود وصف الظاهرة، وانما يذهب إلى أبعد من ذلك، فيحلل ويفسر ويقارن؛ للوصول إلى أسباب هذه الظاهرة، والعوامل التي تتحكم فيها، واستخلاص النتائج لتعميمها .انظر :مقدمة في منهج البحث العلمي، للدكتور: رحيم يونس كرو العزاوي، ١/٩٧-١٠١ ط دار دجلة -الأردن، ط الأولى ١٤٢٩ هـ.

المبحث الأول

دراسة الحديث رواية ودراية

المطلب الأول

تخريج الحديث

تخريج حديث: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا) حديث ابن مسعود أخرجه الإمام البخاري، ومسلم، [١].

- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق: باب ذكر الملائكة [٢] .

قال الإمام البخاري:" حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ .

- وكتاب أحاديث الأنبياء: باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته [٣] .

قال الإمام البخاري:" حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وَأَجَلُهُ، وَرِزْقُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ» .

- ،،، وكتاب القدر: باب القدر[٤] .

قال البخاري:" حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، أَنْبَأَنِي سُلَيْمَانُ الأَعْمَشُ، قَالَ: سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ وَهْبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعٍ: بِرِزْقِهِ

---

(١) اقتصرت في التخريج على الصحيحين لكونهما المعتمدين، ولتمام ألفاظ الحديث فيهما دون غيرهما من المصنفات.

(٢) ١١١/٤ ح رقم ٣٢٠٨ .

(٣) ١٣٣/٤ح رقم ٣٣٣٢ .

(٤) ٨/ ١٢١-١٢٢ ح رقم ٦٥٩٤ .

وَأَجَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَ اللَّهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ – أَوْ: الرَّجُلَ – يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا " قَالَ آدَمُ: «إِلَّا ذِرَاعٌ».

- ،،،، وكتاب التوحيد: بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المُرْسَلِينَ} (١) (٢) .

قال البخاري:" حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ وَهْبٍ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ: " أَنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ المَلَكُ فَيُؤْذَنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى لاَ يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا".

- وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب القدر: بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِه (٣).

قال الإمام مسلم :"حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَوَكِيعٌ، ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ الْهَمْدَانِيُّ – وَاللَّفْظُ لَهُ – حَدَّثَنَا أَبِي، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، وَوَكِيعٌ، قَالُوا: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، **ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ**، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا ".

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، كِلَاهُمَا عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، ح وحَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، ح وَحَدَّثَنَاهُ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ، كُلُّهُمْ عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، قَالَ فِي حَدِيثِ وَكِيعٍ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» وقَالَ فِي حَدِيثِ مُعَاذٍ، عَنْ شُعْبَةَ: «أَرْبَعِينَ لَيْلَةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا» وَأَمَّا فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ وَعِيسَى: «أَرْبَعِينَ يَوْمًا».

---

(١) ٩/ ١٣٥ رقم ٧٤٥٤ .

(٢) سورة الصافات آية رقم ١٧١ .

(٣) ٢٠٣٦/٤ ح رقم ٢٦٤٣ .

- وأخرجه الإمام أحمد في مسنده: حديث عبد الله بن مسعود ٤٨/٧ ح ٣٩٣٤-

قال الإمام أحمد: "حدثنا حسين بن محمد حدثنا فِطْرٌ عن سَلَمة بن كُهَيل عن زيد بن وَهْب الجُهَني عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول، وهو الصَادق المَصْدُوق: "يُجمع خَلْق أحدكم في بطن أمه أربعين ليلةً، ثم يكون عَلَقة مثلَ ذلك، ثم يكون مُضغةً مثل ذلك، ثم يَبعث الله عز وجل إليه مَلَكاً من الملائكة، فيقول: اكتبْ عملَه وأجلَه ورزقَه، واكتبه شقيّا أو سعيداً"، **ثم قال: والذي نفس عبد الله بيده،** إن الرجل ليعملُ بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبين الجنة غيرُ ذراع ثم يدركه الشقاء، فيعملُ بعمل أهل النار، فيموت فيدخل النار، **ثم قال: والذي نفسُ عبد الله بيده،** إن الرجل ليعملُ بعمل أهل النار، حتى ما يكونُ بينه وبين النار غير ذراع، ثم تدركه السعادة، فيعملُ بعمل أهل الجنة، فيموت فيدخل الجنة.

في هذا الطريق تابع سلمة بن كهيل الأعمش عن زيد بن وهب ، وأيضا فيه القسم من عبد الله بن مسعود صريحًا عن نفسه.

وله شاهد من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه-:

- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه : كتاب الحيض: باب قوله تعالى (مخلقة وغير مخلقة) [١]

قال الإمام البخاري:" حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا ، يَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ وَالأَجَلُ، فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ".

- والإمام مسلم في صحيحه: كتاب القدر: بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِه [٢] .

قال الإمام مسلم:" حَدَّثَنِي أَبُو كَامِلٍ فُضَيْلُ بْنُ حُسَيْنٍ الْجَحْدَرِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَرَفَعَ الْحَدِيثَ، أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقًا قَالَ: قَالَ الْمَلَكُ: أَيْ رَبِّ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ".

وله شاهد من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري-رضى الله عنه- :

- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب القدر: بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِه [٣].

---

(١) ١ /٧٠-٧١ ح رقم ٣١٨ .

(٢) ٤/ ٢٠٣٧ح رقم٢٦٤٦ .

(٣) ٢٠٣٧/٤ ح رقم ٢٦٤٤ .

قال الإمام مسلم:" حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ – وَاللَّفْظُ لِابْنِ نُمَيْرٍ – قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: " يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ، أَوْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَيُكْتَبَانِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ فَيُكْتَبَانِ، وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَثَرُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ، ثُمَّ تُطْوَى الصُّحُفُ، فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ ".

<u>وأيضًا</u> [1] قال الإمام مسلم:" حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ، أَنَّ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، فَأَتَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُقَالُ لَهُ: حُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ الْغِفَارِيُّ، فَحَدَّثَهُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: وَكَيْفَ يَشْقَى رَجُلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَتَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: " إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ "،حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ النَّوْفَلِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّ أَبَا الطُّفَيْلِ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: وَسَاقَ الْحَدِيثَ، بِمِثْلِ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ

وفي ٤/ ٢٠٣٨ ح رقم ٢٦٤٥ .

قال الإمام مسلم :" حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَلَفٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ أَبُو خَيْثَمَةَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَطَاءٍ، أَنَّ عِكْرِمَةَ بْنَ خَالِدٍ، حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا الطُّفَيْلِ حَدَّثَهُ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي سَرِيحَةَ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِأُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، يَقُولُ: «إِنَّ النُّطْفَةَ تَقَعُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَتَصَوَّرُ عَلَيْهَا الْمَلَكُ» قَالَ زُهَيْرٌ: حَسِبْتُهُ قَالَ الَّذِي يَخْلُقُهَا " فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى، فَيَجْعَلُهُ اللهُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَسَوِيٌّ أَوْ غَيْرُ سَوِيٍّ، فَيَجْعَلُهُ اللهُ سَوِيًّا أَوْ غَيْرَ سَوِيٍّ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ مَا رِزْقُهُ مَا أَجَلُهُ مَا خُلُقُهُ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ اللهُ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا".

وفي ٤/٢٠٣٨ ح رقم ٢٦٤٥ .

قال الإمام مسلم:" حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا رَبِيعَةُ بْنُ كُلْثُومٍ، حَدَّثَنِي أَبِي كُلْثُومٌ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، رَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ» أَنَّ مَلَكًا مُوَكَّلًا بِالرَّحِمِ، إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا بِإِذْنِ اللهِ، لِبِضْعٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً " ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ.

---

(١) ٤/ ٢٠٣٧ ح رقم ٢٦٤٥.

المطلب الثاني
درجة الحديث، ومنزلته

أولًا: درجة الحديث:

حديث ابن مسعود–رضى الله عنه– متفق على صحته، ومجمع عليها: أخرجه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما، مشهور من طريق الأعمش عن زيد بن وهب ، قال الإمام أبو نعيم[١] :" صحيح متفق عليه رواه عن الأعمش الجم الغفير". [٢]

وقد تابع سلمة بن كهيل الأعمش في رواية هذا الحديث عند الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، والإمام النسائي في السنن الكبرى.

قال الإمام ابن حجر العسقلاني: " وهذا الحديث اشتهر عن الأعمش بالسند المذكور هنا، قال علي بن المديني في كتاب العلل:" كنا نظن أن الأعمش تفرد به حتى وجدناه من رواية سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب" قلت(يعني ابن حجر): وروايته عند أحمد [٣] والنسائي [٤]، ورواه حبيب بن حسان عن زيد بن وهب أيضًا وقع لنا في الحلية [٥].

ولم ينفرد به زيد عن ابن مسعود بل رواه عنه أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود عند أحمد [٦]، وعلقمة عند أبي يعلى [٧]، وأبو وائل [٨] في فوائد تمام [٩]، ومخارق بن سليم [١٠] وأبو عبد الرحمن السلمي [١١] كلاهما عند الفريابي في كتاب القدر، وأخرجه أيضا من رواية طارق ومن رواية أبي الأحوص الجشمي [١٢] كلاهما عن عبد الله مختصرا، وكذا لأبي الطفيل عند مسلم [١٣]،

---

(١) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الإمام، الحافظ، الثقة، العلامة، شيخ الإسلام، الأصبهاني قال الذهبي:،كان حافظا مبرزا عالي الإسناد، تفرد في الدنيا بشيء كثير من العوالي، من تصانيفه : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، والمستخرج، ودلائل النبوة، توفي ٤٣٠ هـ (سير أعلام النبلاء ٤٥٣/١٧)

(٢) حلية الأولياء ٣٦٤/٧

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٤٨/٧ ح ٣٩٣٤

(٤) أخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى: كتاب التفسير: قوله تعالى (فمنهم شقي وسعيد) ١٠/ ١٣٠ ح رقم ١١١٨٢ .

(٥) أخرجه الامام أبو نعيم في حلية الأولياء : ترجمة عبد الله بن خبيق ١٧٠/١٠ ، وقال أبو نعيم: لم يروه عن حبيب إلا يوسف بن أسباط، ولا عنه إلا عبد الله (يعني عبد الله بن خبيق).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده : حديث عبد الله بن مسعود ١٣/٦ ح رقم ٣٥٥٣ .

(٧) أخرجه الإمام البزار في البخر الزخار: مسند عبد الله بن مسعود٣٥١/٤ ح رقم ١٥٥١ وقال البزار: وهذان الحديثان لا نعلمهما يرويان من حديث حماد، عن إبراهيم، عن علقمة والأسود، عن عبد الله إلا من هذا الوجه، ولم نسمعهما إلا من أحمد بن إسحاق، عن عامر بن مدرك.

(٨) أخرجه البيهقي في القضاء والقدر : ما روي عن جماهير الصحابة وأعلام الدين وأئمته في اثبات القدر ص ٣٠٣ ح ٤٨٠ .

(٩) الروض البسام بترتيب وتخريج فوائد تمام ٩٨/١ ح ٣١ .

(١٠) أخرجه الإمام الفريابي في القدر ص ١١٢ ح ١٢٩ .

(١١) أخرجه الإمام الفريابي في القدر ص ١١٣ ح ١٣١ .

(١٢) أخرجه الإمام الفريابي في القدر ص ١١٢-١١٣ ح ١٢٩-١٣٠، وابن أبي عاصم في السنة: باب ذكر قول النبي ﷺ الشقي من شقى في بطن أمه، والطبع والجبل والخير ١/ ٧٩ ح رقم ١٧٨ .

(١٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب القدر: بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ ٤/ ٢٠٣٧ح (٢٦٤٥) .

وناجية بن كعب [١] في فوائد العيسوي، وخيثمة بن عبد الرحمن عند الخطابي [٢] ، وابن أبي حاتم [٣] ولم يرفعه بعض هؤلاء عن ابن مسعود.

ورواه عن النبي ﷺ مع ابن مسعود جماعة من الصحابة مطولًا ومختصرًا منهم أنس بن مالك، وحذيفة بن أسيد عند مسلم [٤].

ثانياً: منزلة الحديث:

يُعد هذا الحديث أصلاً كبيراً من أصول الإسلام؛ لأن فيه بيان وجوب الإيمان بالقدر، وهو أحد أركان الإيمان بالله تعالى، ويتعلق بعظيم قدرة الله تعالى في خلق الانسان في رحم أمه، وفي ذلك ما جاء:

١- عن إسحاق بن راهوية-رحمه الله - [٥] قال:" أربعة أحاديث هي من أصول الدين: حديث عمر "إنما الأعمال بالنيات"[٦]، وحديث "الحلال بين والحرام بين" [٧]، وحديث "إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما"، وحديث "من صنع في أمرنا شيئا ما ليس منه فهو رد [٨] " [٩] .

٢- قال الحاكم [١٠] :" حدثونا عن عبدالله بن أحمد عن أبيه أنه ذكر قوله عليه الصلاة و السلام "الأعمال بالنيات"، وقوله "إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما"، وقوله "من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد" فقال: ينبغي أن يبتدأ بهذه الأحاديث في كل تصنيف فإنها أصول الأحاديث" [١١].

٣- وقال ابن الملقن [١٢] : "هذا حديث عظيم يتعلق بمبتدأ الخلق ونهايته، وأحكام القدر في المبدأ والمعاد جليل حفيل" [١٣].

٤- هذا حديث مجمع على صحته ، رواه جماعة من الأئمة الثقات عن الأعمش [١٤].

---

(١) أخرجه الأجري في الشريعة ٧٨٨/٢ ح ٣٦٩ ، والطبراني في المعجم الكبير: مسند عبد الله بن مسعود ١٠/ ٢٢٤ ح ١٠٥٣٤

(٢) غريب الحديث للخطابي ٦٨٢/١ .

(٣) أخرجه الإمام الطبري في تفسيره جامع البيان ١٧٦/٦ ح٦٥٦٩ .

(٤) فتح الباري ١١/ ٤٧٩

(٥) اسحاق بن ابراهيم بن مخلد أبو يعقوب الحنظلي، المروزي، أحد الأئمة، صنف الكتب وفرع على السنن، وذب عنها وقمع من خالفها، توفي سنة ٢٣٨ هـ (تهذيب التهذيب ١/ ٢١٦-٢١٩)

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ٦/١ ح رقم ١ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه ٢٠/١ ح رقم ٥٢ عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٨) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ١٨٤/٣ ح رقم٢٦٩٧ عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٩) جامع العلوم والحكم لابن رجب ط المعرفة ص ٩

(١٠)أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ، الضبي النيسابوري بعرف بابن البيع، صاحب المستدرك، مات سنة ٤٠٥هـ (طبقات الحفاظ ، ص ٤١٠) .

(١١) جامع العلوم والحكم ١/ ٥٧

(١٢)سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري برع، وأفتى، ودرّس، وأثنى عليه الأئمة، ووصف بالحافظ، توفى: ٨٠٤ هـ (شذرات الذهب ٧١/٩)

(١٣) المعين على تفهم الأربعين لابن الملقن ص ١٤١

(١٤) التوحيد لابن منده ١/ ٢١٨ح ٧٩

المطلب الثالث

بيان رفع الإشكال الوارد حول الحديث من قوله " فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة..." هل هو من كلام الرسول ﷺ فيكون مرفوعاً؟ أم مدرج من كلام الصحابي ابن مسعود فيكون موقوفاً؟

سبب الاشكال يتمثل في:

١- ورود روايات خالية من القسم (فإن الرجل منكم ليعمل...).

٢- ورود روايات بلفظ القسم عام (دون دلالة كونه صادر عن الرسول ﷺ أو صادر من الصحابي ابن مسعود) " فوالله" "فوالذي لا إله غيره" " فوالله الذي لا إله غيره" " فوالذي نفسي بيده".

٣- ورود روايات صريحة بالقسم من عبد الله بن مسعود" فوالذي نفس عبد الله بيده" من رواية سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب .

٤- ورود رواية صريحة بالقسم من عبد الله بن مسعود منسوبة للرسول ﷺ " والذي نفس محمد بيده".

٥- ورود روايات مختصرة عن ابن مسعود ليس فيها الجزء الأخير من الحديث، وأيضا روايات أخرى عن سيدنا أنس، وحذيفة بن أسيد، وابن عمر بدونها.

وتتمثل وجوه رفع هذا الإشكال فيما يأتي:

أن جميع الروايات تقتضي الرفع للرسول ﷺ ، وأنه من كلامه ﷺ للأمور الآتية:

١- أن الروايات محتملة أن القائل هو النبي ﷺ فيكون الخبر كله مرفوعا، ويحتمل أن يكون القائل بعض رواته، ولكن الإدراج لا يثبت بالاحتمال، فيقوى جانب الرفع.

٢- أن الروايات الصريحة بالقسم من عبد الله بن مسعود منسوبة للرسول ﷺ " والذي نفس محمد بيده" ثم ذكر بقيته. قال أبو جعفر الطحاوي [١]: ففي هذا الحديث ما قد دل على أن هذا الكلام إلى آخر هذا الحديث من كلام رسول الله ﷺ ، لا من كلام ابن مسعود؛ لأنه لا يجوز أن يكون ذلك الحلف من عبد الله بن مسعود كما فيه ، ورسول الله ﷺ حينئذ ميت؛ لأنه إنما يحلف بأنفس الأحياء لا بأنفس الأموات [٢].

٣- أما الروايات الصريحة بالقسم من عبد الله بن مسعود" فوالذي نفس عبد الله بيده" من رواية سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب ففي ظاهرها الدلالة على أن هذا الكلام من كلام ابن مسعود، لا من كلام رسول الله ﷺ ولكن نجد أنه: على أي معنى كان هذا الكلام في الحقيقة من كلام رسول الله ﷺ ، أو من كلام ابن مسعود، فإنه حق؛ لأن ابن مسعود المأمون على ما قال من ذلك إن كان قاله؛ ولأنا نعلم أنه لم يقل ذلك رأيا، لأن مثله لا يقال بالرأي، وأنه إنما قاله توقيفا، والتوقيف لا يكون إلا من رسول الله ﷺ .

بل في الحديث ما يدل على أخذه إياه من رسول الله ﷺ؛ لأن فيه من كلام رسول الله ﷺ: " فيؤمر أن يكتب رزقه وأجله ، وشقي أو سعيد "، والشقوة والسعادة هما المعنى الذي في بقية هذا الحديث المتنازع فيه أنه من كلام رسول الله ﷺ أو من كلام ابن مسعود، فإن كان من كلام رسول الله ﷺ، فهو من كلامه، وإن

---

(١)أحمد بن محمد بن سلامة الطّحاويّ الحنفي، الأزديّ الحجريّ المصري، شيخ الحنفية، الثقة الثبت، صنّف التصانيف، وبرع في الفقه والحديث، توفي سنة ٣٢١ هـ (شذرات الذهب ١٠٥/٤)

(٢) شرح مشكل الآثار ٤٨٣/٩ ح ٣٨٦٩ .

لم يكن من كلامه، وكان من كلام ابن مسعود بتوقيف رسول الله ﷺ إياه عليه كان كذلك أيضًا، وإن كان باستخراجه إياه من الشقوة والسعادة المذكورين فيه، فهو كما أخذه عن رسول الله ﷺ أيضا توقيفًا [١].

٤- أما الروايات المختصرة ليس فيها الجزء الأخير من الحديث، وأيضًا روايات أخرى عن سيدنا أنس، وحذيفة بن أسيد، وابن عمر بدونها، فقد جاءت روايات أخرى تامة، وجاءت الزيادة مرفوعة في حديث عدد من الصحابة منهم: حديث سهل بن سعد-رضي الله عنه- **(قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ»** [٢]، وفي حديث أبي هريرة-رضي الله عنه- **(أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»**[٣] ، وفي حديث أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- **(أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَإِذَا كَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ تَحَوَّلَ فَعَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَمَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا كَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ تَحَوَّلَ، فَعَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَمَاتَ فَدَخَلَهَا "**، [٤] فدل على كونها مرفوعة، قال الحافظ ابن حجر [٥]:" فيقوى على هذا أن الجميع مرفوع، وبذلك جزم المحب الطبري، وحينئذ تحمل رواية سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب على أن عبد الله بن مسعود لتحقق الخبر في نفسه أقسم عليه، ويكون الإدراج في القسم لا في المقسم عليه، وهذا غاية التحقيق في هذا الموضع، ويؤيد الرفع أيضًا أنه مما لا مجال للرأي فيه فيكون له حكم الرفع" [٦] .

٥- أيضًا يمكن تلخيص ذلك من وجه آخر بالنظر إلى اعتبارين: الأول اعتبار طرق الأسانيد فنجد أن الرواية الواردة بصريح القسم من ابن مسعود رضي الله عنه هي من طريق سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب ، وقد روى الإمام الطحاوي قبل هذه الرواية أيضًا من طريق سلمة بن كهيل نفسه نفس لفظ الرواية موافقًا لرواية الأعمش بما يفيد الرفع.

قال الإمام الطحاوي:" حدثنا بكار بن قتيبة قال: حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير قال: حدثنا فطر بن خليفة قال: حدثنا سلمة بن كهيل ، عن زيد بن وهب قال: حدثنا عبد الله بن مسعود يقول: " حدثنا رسول الله ﷺ ، وهو الصادق المصدوق: " إن خلق أحدكم يكون في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم ينفخ فيه الروح ، ثم يبعث الله عز وجل ملكا بأربع

---

(١) شرح مشكل الآثار ٩/ ٤٨٥-٤٨٦ .
(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب القدر: باب: العمل بالخواتيم ١٢٤/٨ ح رقم ٦٦٠٧ ف .
(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: القدر، باب: بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ ٢٠٤٢/٤ ح رقم ٢٦٥١ .
(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: حديث أم المؤمنين عائشة ٢٧٩/٤١ -٢٨٠ ح رقم ٢٤٧٦٢ ، وأشار إليه الحافظ ابن حجر بأن سنده صحيح (فتح الباري ٤٧٩/١١).
(٥)الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المصري، المعروف بابن حجر ، صاحب التصانيف الفريدة منها فتح الباري شرح صحيح البخاري توفي سنة ٨٥٢هـ (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ٢/ ٣٦-٤٠).
(٦) فتح الباري ١١/ ٤٨٧ .

كلمات ، فيكتب أجله ورزقه ، وسعيد هو أو شقي ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيدركه الكتاب السابق ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ، فيدركه الكتاب السابق ، فيعمل بعمل أهل الجنة ، فيدخل الجنة " قال أبو جعفر: فكان هذا موافقا لما رواه الأعمش عليه ، عن زيد [1]. كما أن الرواية الصريحة بالقسم من عبد الله بن مسعود منسوبة للرسول ﷺ " والذي نفس محمد بيده" من طريق سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب أيضًا ، وكذا جاء من طريق وهب بن جرير، وجماعة عن الأعمش بنسبة القسم إلى ابن مسعود .

أما الاعتبار الثاني: من ناحية متن الحديث فنجد أن مثله لا يقال بالرأي بل هو مما لا مجال للاجتهاد والرأي فيه بل هو توقيف من الرسول ﷺ فيكون له حكم الرفع، كما معنى هذه الزيادة جاءت مرفوعة من طرق أخري عن صحابة آخرين. لهذا رجح الحافظ ابن حجر أن الإدراج في القسم فقط لا في المقسم عليه ، لتحقق الخبر في نفس ابن مسعود أقسم عليه، ويكون الإدراج في القسم لا في المقسم عليه، وهذا غاية التحقيق في هذا الموضع.

* * * * * *

(١) أخرجه الإمام الطحاوي في شرح مشكل الآثار ٤٨٣/٩ ح رقم ٣٨٦٧ .

المطلب الرابع

المعنى الإجمالي للحديث

هذا الحديث علم من أعلام نبوته- صلى الله عليه وسلم- فقد أخبرنا النبي- صلى الله عليه وسلم - ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [1] عن عظيم قدرة الله تعالى في خلق الجنين في بطن أمه، وأطوار وزمن تخلقه من النطفة إلى العلقة والمضغة و بديع تصويره في أربعين يوما، ونفخ الروح فيه ، وهذه الأوصاف لأطوار الجنين لم يقف عليها العلم الحديث إلا بما توفر له من أجهزة، وآلات حديثة في القرن الماضي أي بعد ثلاثة عشر قرنًا من الهجرة النبوية .

وأن نفخ الروح يكون بعد التصوير والتخليق في طور المضغة غير أنه لم يمكن القطع في أي وقت بالتحديد وأن الأحاديث دلت على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر.

كما أن الحديث أصل في إثبات القدر ووجوب الإيمان به، فقد سيق لبيان الخاتمة، وإن ما سبق كتابته في صحيفة الجنين في بطن أمه موافق لما سبق كتابته في اللوح المحفوظ ، ولا تؤثر الكتابة على العمل؛ لأن هذه الكتابة هي بيان لعلم الله السابق، وأن الرزق والأجل والعمل والسعادة والشقاوة سبق بها الكتاب، وأن كلا ميسر لما خلق له من الأعمال التي هي سبب السعادة أو الشقاوة، وأن السعادة المقصودة في الحديث هي الإيمان، والشقاوة المقصودة هي الكفر . وفيه التحذير من سوء الخاتمة، وعدم الركون إلى الأعمال ، والاغترار بها، بل يكون العبد بين الخوف، والرجاء، وإذا صدرت منه الأعمال السيئة فلا ييئس من روح الله تعالى الطيبة، فإنها إذا بدت عين العناية ألحقت الآخرة بالسابقة.

* * * * * *

(١) سورة النجم الآيتان ٣-٤

المبحث الثاني

إظهار الإعجاز في مراحل خلق الجنين

المطلب الأول

مراحل خلق الجنين كما وردت في حديث عبد الله بن مسعود

من خلال تأملنا لحديث عبد الله بن مسعود–رضى الله عنه– نجد أن مراحل خلق الجنين قد مر بأربع مراحل وهي: مرحلة الجمع في رحم المرأة (النطفة)، ومرحلة العلقة، ومرحلة المضغة، ومرحلة إرسال الملك لنفخ الروح، وكتابة الاجل، والرزق، والعمل، وهل هو من أهل الشقاوة أم السعادة؟ وفيما يلي بيان هذه المراحل.

أولاً : **مرحلة الجمع في رحم المرأة** (**النطفة**) :

المرحلة الأولى من مراحل خلق الجنين هي مرحلة الجمع في رحم المرأة والمراد بها جمع النطفة في الرحم دل عليه قوله ﷺ (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا) فالذي يجمع هو النطفة، والمراد بالنطفة المني، وهو ماء الرجل وماء المرأة، وأصله الماء الصافي القليل، قال تعالى:﴿ **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**﴾ [١] وقال تعالى:﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾ [٢].

والأصل في ذلك أن ماء الرجل إذا لاقى ماء المرأة ، وأراد الله ان يخلق من ذلك جنينًا هيأ أسباب ذلك لأن في رحم المرأة قوتين قوة انبساط عند ورود مني الرجل حتى ينتشر في جسد المرأة وقوة انقباض بحيث لا يسيل من فرجها مع كونه منكوسا ومع كون المني ثقيلا بطبعه وفي مني الرجل قوة الفعل وفي مني المرأة قوة الانفعال فعند الامتزاج يصير مني الرجل كالإنفحة للبن وقيل في كل منهما قوة فعل وانفعال لكن الأول في الرجل أكثر وبالعكس في المرأة [٣].

وقال القرطبي: " المراد أن المني يقع في الرحم حين انزعاجه بالقوة الشهوانية الدافعة مبثوثا متفرقا فيجمعه الله في محل الولادة من الرحم" [٤].

وقال ابن الأثير[٥] : "يجوز أن يريد بالجمع مكث النطفة في الرحم أي تمكث النطفة أربعين يوما تخمر فيه حتى تتهيأ للتصوير ثم تخلق بعد ذلك" [٦].

---

(١) سورة النحل: آية ٤
(٢) سورة الإنسان آية ٢
(٣) فتح الباري ٤٨٠/١١
(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم٩/ ٣٩٢
(٥) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري له مصنفات عديدة توفي سنة ٦٠٦هـ (شذرات الذهب ٢٢/٥)
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢٩٧/١ المكتبة العلمية بيروت

وروى الإمام الخطابي [١] أن الصحابي عبد الله بن مسعود –رضى الله عنه– فسره:" بأن النطفة إذا وقعت في الرحم فأراد الله أن يخلق منها بشرًا طارت في جسد المرأة تحت كل ظفر وشعر ثم تمكث أربعين يومًا ثم تنزل دما في الرحم فذلك جمعها" [٢].

قال ابن حجر: "هذا التفسير الذي ذكره الخطابي من رواية الأعمش أيضا عن خيثمة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود وقوله (فذلك جمعها) كلام الخطابي أو تفسير بعض رواة حديث الباب وأظنه الأعمش فظن ابن الأثير أنه تتمة كلام ابن مسعود فأدرجه فيه ولم يتقدم عن ابن مسعود في رواية خيثمة ذكر الجمع حتى يفسره " [٣] .

وقد رجح الطيبي هذا التفسير فقال:" والصحابة أعلم الناس بتفسير ما سمعوه، وأحقهم بتأويله، وأولاهم بالصدق فيما يتحدثون به، وأكثرهم احتياطا للتوقي عن خلافه، فليس لمن بعدهم أن يرد عليهم. " [٤].
فنجد أن العلماء فسروا الجمع بثلاثة معانٍ:

١– الجمع بعد التفرق . ٢– المكث أي البقاء مدة .

٣– كلاهما معا كما فسره الصحابي ابن مسعود.

وقت ابتداء الجمع في الرحم:

دل تفسير الصحابي عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه– أن ذلك في نهاية الأربعين الأولى، ودل حديث مالك بن الحويرث الآتي على ابتداء الجمع في اليوم السابع بعد الجماع، وقد وفق العلماء بين الحديثين بالجمع بينهما كما وضح الحافظ ابن حجر .

قال ابن حجر:" وقد وقع في حديث مالك بن الحويرث –رضي الله عنه– رفعه ما ظاهره يخالف التفسير المذكور ولفظه:" **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ خَلْقَ عَبْدٍ فَجَامَعَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ طَارَ مَاؤُهُ فِي كُلِّ عِرْقٍ وَعُضْوٍ مِنْهَا، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ السَّابِعِ جَمَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ أَحْضَرَهُ كُلَّ عِرْقٍ لَهُ دُونَ آدَمَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ**» [٥] وفي لفظ" ثم تلا (**فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ**)، وحاصله أن في هذا زيادة تدل على أن الشبه يحصل في اليوم السابع، وأن فيه ابتداء جمع المني،

---

(١) حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الإمام المحدث المفيد، صاحب التصانيف،، منها غريب الحديث ومعالم السنن، توفي سنة ٣٨٨هـ (تذكرة الحفاظ ٣/ ١٤٩)

(٢) أخرجه الإمام الخطابي في غريب الحديث ٦٨٢/١

(٣) فتح الباري ١١/ ٤٨٠ .

(٤) الكاشف عن حقائق السنن للطيبي ٥٣٣/٢ ، و مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١٥١/١ ح ٨٢ .

(٥)أخرجه الإمام ابن منده في التوحيد : باب ذكر آية تدل على وحدانية الخالق وأنه المقر في الأرحام ما يشاء ٢٣٢/١ ح رقم ٨٦ وقال: "وهذا إسناد متصل مشهور على رسم أبي عيسى والنسائي وغيرهما."، وأخرجه الإمام البيهقي في الأسماء والصفات : جماع أبواب إثبات الفعل ، باب بدء الخلق ٢/ ٢٦١ ح ٨٢٣ .

وظاهر الروايات الأخرى أن ابتداء جمعه من ابتداء الأربعين، **فعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أُرَاهُ قَدْ رَفَعَهُ، قَالَ: "إِذَا اسْتَقَرَّتْ النُّطْفَةُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، بَعَثَ إِلَيْهَا مَلَكًا،..."** (١).

فوجه الاختلاف: أن حديث ابن مسعود لم يختلف في ذكر الأربعين وكذا في كثير من الأحاديث، وغالبها كحديث أنس لا تحديد فيه، وحديث حذيفة بن أسيد اختلفت ألفاظ نقلته فبعضهم جزم بالأربعين كما في حديث ابن مسعود، وبعضهم زاد ثنتين أو ثلاثًا أو خمسًا أو بضعًا ثم منهم من جزم ومنهم من تردد.

رواية حذيفة بن أسيد عند مسلم (إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا).

وقد جمع بينها القاضي عياض فقال:" **وزيادة من زاد في مجيء الملك أنها بعد زيادة على الأربعين مشعرة أنه لا يأتيها الملك لرأس أربعين، إذ بعدها- كما قال- ثلاث أو خمس أو بضع على اختلاف الروايات، ولم يأت في غيرها من الأحاديث النص على رأس الأربعين، وذكره أن لكل حالة وانتقال مدة أربعين يوماً، وأنه إنما ينتقل إلى العلقة بعد الأربعين"** (٢) **وأشار الحافظ ابن حجر إلى قول القاضي عياض (بتصرف) فقال:** "بأنه ليس في رواية ابن مسعود بأن ذلك يقع عند انتهاء الأربعين الأولى وابتداء الأربعين الثانية بل أطلق الأربعين فاحتمل أن يريد أن ذلك يقع في أوائل الأربعين الثانية، ويحتمل أن يجمع الاختلاف في العدد الزائد على أنه بحسب اختلاف الأجنة" (٣)

وتعقبه الحافظ ابن حجر بقوله: " وهو جيد لو كانت مخارج الحديث مختلفة لكنها متحدة وراجعة إلى أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد فدل على أنه لم يضبط القدر الزائد على الأربعين، والخطب فيه سهل، وكل ذلك لا يدفع الزيادة التي في حديث مالك بن الحويرث في إحضار الشبه في اليوم السابع وأن فيه يبتدئ الجمع بعد الانتشار، وقد قال ابن منده:" إنه حديث متصل على شرط الترمذي والنسائي" (٤) (٥).

ثانياً: مرحلة العلقة:

وهي المرحلة الثانية من مراحل خلق الجنين كما ورد في حديث ابن مسعود وهي التي تلي مرحلة النطفة، وبها ينتقل تكوين الجنين من صورة المني إلى صورة أخرى وهي بدء التشكيل دل عليه قوله ﷺ: **"ثم علقة مثل ذلك"** في رواية آدم" ثم تكون علقة مثل ذلك"، وفي رواية مسلم" ثم تكون في ذلك علقة مثل ذلك" (٦).

والعلقة الدم الجامد الغليظ سمي بذلك للرطوبة التي فيه وتعلقه بما مر به (٧) .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: حديث جابر ٢٣/٤١٣-٤١٤ ح رقم ١٥٢٦٩، وقال الهيثمي:" رواه أحمد، وفيه خصيف، وثقه ابن معين وجماعة وفيه خلاف، وبقية رجاله ثقات." (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٩٢/٧ ح١١٨٠٦) والإمام الفريابي في القدر ص ١٢١-١٢٢ ح رقم ١٤٣ وفيه:" أذن الله عز وجل في خلقها" .

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ٨/ ١٢٤-١٢٥.

(٣) فتح الباري ٤٨١/١١ .

(٤) فتح الباري ٤٨١/١١ .

(٥) سبق تخريجه .

(٦) الرواية بلفظ " تكون" أخرجها البيهقي في السنن الكبرى : كتاب: العدة باب: في المرأة تضع سقطا ٦٩١/٧ ح رقم ١٥٤٢١

(٧) عمدة القاري ٢٩٣/٣ .

قال ابن حجر:" وتكون هنا بمعنى تصير ومعناه: أنها تكون بتلك الصفة مدة الأربعين ثم تنقلب إلى الصفة التي تليها، ويحتمل أن يكون المراد تصيرها شيئًا فشيئًا فيخالط الدم النطفة في الأربعين الأولى بعد انعقادها وامتدادها وتجري في أجزائها شيئًا فشيئًا حتى تتكامل علقة في أثناء الأربعين ثم يخالطها اللحم شيئًا فشيئًا إلى أن تشتد فتصير مضغة ولا تسمى علقة قبل ذلك ما دامت نطفة وكذا ما بعد ذلك من زمان العلقة والمضغة.

وذكر أيضا:" فإن العلقة وإن كانت قطعة دم لكنها في هذه الأربعين الثانية تنتقل عن صورة المني ويظهر التخطيط فيها ظهورًا خفيًا على التدريج" [1].

ثالثا مرحلة المضغة:

وهي المرحلة الثالثة من مراحل خلق الجنين كما ورد في حديث ابن مسعود وهي تلي مرحلة العلقة دل عليه قوله ﷺ :" ثم يكون مضغة مثل ذلك" وفي رواية مسلم "ثم تكون في ذلك مضغة مثل ذلك"، والمضغة قطعة اللحم سميت بذلك لأنها قدر ما يمضغ الماضغ .

قال تعالى﴿ **فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً** ﴾ [2] ، فإذا تكاملت العلقة في أثناء الأربعين فبعد ذلك يخالطها اللحم شيئا فشيئا إلى أن تشتد فتصير مضغة ولا تسمى علقة قبل ذلك ما دامت نطفة وكذا ما بعد ذلك من زمان العلقة والمضغة [3].

وكأن المراد أن وصف النطفة، والعلقة، والمضغة يغلب على مدة كل مرحلة فلا يوصف بها ما قبلها ولا ما بعدها.

وهذه المرحلة تتضمن قسمين للمضغة وهما: إما مضغة مخلقة أو مضغة غير مخلقة :

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** ﴾ [4].

---

(١) فتح الباري ١١/ ٤٨١، ٤٨٢ .
(٢) سورة المؤمنون من الآية١٤
(٣) فتح الباري ١١/ ٤٨١.
(٤) سورة الحج آية ٥

قال البدر العيني [١] في معنى المخلقة:" وعن قتادة: {مخلقة وغير مخلقة} أي: تامة(الخلق) وغير تامة [٢]، وعن الشعبي: النطفة والعلقة والمضغة إذا أكسيت في الخلق الرابع كانت مخلقة، وإذا قذفتها قبل ذلك كانت غير مخلقة [٣]. وعن أبي العالية: المخلقة المصورة، وغير المخلقة، السقط[٤] . " [٥]

قال الإمام ابن رجب الحنبلي [٦]:"اختلف السلف في تأويل قول الله: ﴿ **ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ** ﴾ : فقال مجاهد : هي المضغة التي تسقطها المرأة ؛ منها ما هوَ مخلق فيهِ تصوير وتخطيط ، ومنها ما ليس بمخلق ولا تصوير فيهِ ، أرى الله تعالى ذَلكَ عباده ليبين لهم أصل ما خلقوا منه ، والذي يقره في الأرحام هوَ الذي يتم خلقه ويولد .

وقالت طائفة : المخلقة هي التي يتم خلقها ، وغير مخلقة هي التي تسقط قبل أن تكون مضغة [٧]، دل عليه ما روي عن ابن مسعود ، قَالَ : "النطفة إذا استقرت في الرحم حملها ملك بكفه ، وقال : أي رب ، مخلقة أم غير مخلقة ؟ فإن قيل : غير مخلقة لم تكن نسمة ، وقذفتها الأرحام ، وإن قيل : مخلقة ، قَالَ : أي رب ، أذكر أم أنثى ؟ أشقي أم سعيد ؟ ما الأجل ؟ ما الأثر ؟ وبأي أرض تموت ؟ قَالَ : فيقال للنطفة : من ربك ؟ فتقول : الله ، فيقال : من رازقك ؟ فتقول : الله ، فيقول الله عز وجل : اذهب إلى الكتاب ، فإنك ستجد فيه قصة هذه النطفة " [٨] .

واختلف في أول ما يتشكل من أعضاء الجنين فقيل: قلبه لأنه الأساس وهو معدن الحركة الغريزية، وقيل: الدماغ لأنه مجمع الحواس ومنه ينبعث، وقيل الكبد: لأن فيه النمو والاغتذاء الذي هو قوام البدن ورجحه بعضهم بأنه مقتضى النظام الطبيعي لأن النمو هو المطلوب أولا ولا حاجة له حينئذ إلى حس ولا حركة إرادية لأنه حينئذ بمنزلة النبات وإنما يكون له قوة الحس والإرادة عند تعلق النفس به فيقدم الكبد ثم القلب ثم الدماغ، وقال قوم: أول ما يخلق منه السرة لأن حاجته من الغذاء أشد من حاجته إلى آلات قواه فإن من السرة ينبعث

---

(١) أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى العينتابي الأصل والمولد ،المصري الدار والوفاة ، قاضي القضاة وعمدة المؤرخين برع في الفقه والتفسير والحديث من مصنفاته شرح البخاري توفي سنة ٨٥٥هـ (شذرات الذهب ٤١٨/٩)

(٢) أخرجه الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره : سورة الحج ٥٦٨/١٨، وإسناده حسن فيه أبو هلال الراسبي صدوق.

(٣) أخرجه الإمام الطبري في تفسيره: سورة الحج ٥٦٨/١٨ وإسناده صحيح رجاله كلهم ثقات.

(٤) أخرجه الإمام الطبري في تفسيره: سورة الحج ٥٦٨/١٨ وإسناده صحيح رجاله كلهم ثقات.

(٥) عمدة القاري ٢٩٣/٣ .

(٦) الحافظ المحدث زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي العباس أحمد بن حسن بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي، من أشهر مؤلفاته شرح علل الترمذي، توفى سنة ٧٩٥هـ (طبقات الحفاظ ص ٥٤٠).

(٧)فتح الباري لابن رجب ١/ ٤٨٤-٤٨٥

(٨)أخرجه الإمام الطبري في تفسيره : سورة الأنبياء ٤٦١/١٦ -٤٦٢، وقال الحافظ ابن حجر: "ما رواه الطبري من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن بن مسعود قال إذا وقعت النطفة في الرحم.... فذكر الحديث وإسناده صحيح وهو موقوف لفظا مرفوع حكما "(فتح الباري ١/ ٤١٩) ، وكذا قال البدر العيني:" رواه الطبراني بإسناد صحيح من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود، وهو موقوف لفظا مرفوع حكما لأن الإخبار عن شيء لا يدركه العقل محمول على السماع ."عمدة القاري ٢٩٢/٣ -٢٩٣ ولم أقف عليه عند الطبراني وأظنه تصحيف.

الغذاء والحجب التي على الجنين في السرة كأنها مربوط بعضها ببعض والسرة في وسطها ومنها يتنفس الجنين ويتربى وينجذب غذاؤه منها [1].

رابعا: مرحلة الكتابة ونفخ الروح:

وهي المرحلة الرابعة من مراحل الجنين كما ورد في حديث ابن مسعود وهي تلي مرحلة المضغة دل عليه قوله ﷺ:" ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ،) وفي رواية مسلم (ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ).

فنجد أن رواية الامام البخاري تقدم الكتابة على نفخ الروح ، وفي رواية مسلم تقدم نفخ الروح ثم تكون الكتابة .

وأما وقت نفخ الروح: فالظاهر أنه عند تمام الأربعين الثالثة والطعن في الأربعين الرابعة ينفخ فيه الروح كما وقع في هذا الحديث الصحيح وهو ما لا سبيل إلى معرفته إلا بالوحي.

وتتضمن هذه المرحلة أمرين:

الأول : كتابة الرزق والأجل والعمل وهل هو شقي أم سعيد؟

والثاني: نفخ الروح.

ودلت الروايات على أن المكلف بهذا العمل هم الملائكة الموكلون بالأرحام "ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا"، (ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ): أي جنس الملائكة الموكلين بالأرحام، كما ثبت في رواية حذيفة بن أسيد "أن ملكا موكلا بالرحم ".

والمراد من إرسال الملك أو بعثه لنفخ الروح والكتابة: إما أن الملك الذي يؤمر بالكتابة غير الملك الموكل بالرحم وتصوير الجنين ، أو المراد بالبعث والإرسال : أنه يؤمر بذلك، أو أن الارسال هو الذهاب إلى أم الكتاب فيجد فيه أحوال هذا الجنين، ورجح ابن حجر الأخير.

قال الكرماني: "إذا ثبت أن المراد بالملك من جعل إليه أمر تلك الرحم فكيف يبعث أو يرسل وأجاب بأن المراد أن الذي يبعث بالكلمات غير الملك الموكل بالرحم الذي يقول يا رب نطفة إلخ، ثم قال ويحتمل أن يكون المراد بالبعث أنه يؤمر بذلك" [2] .

قال ابن حجر: وهو الذي ينبغي أن يعول عليه، وبه جزم القاضي عياض وغيره، وقد وقع في رواية يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن الأعمش" إذا استقرت النطفة في الرحم أخذها الملك بكفه فقال أي رب أذكر أو

(١) فتح الباري لابن حجر ١١/ ٤٨٢ .
(٢) الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري ٢٢٩/١٣ .

أنثى الحديث وفيه فيقال انطلق إلى أم الكتاب فإنك تجد قصة هذه النطفة فينطلق فيجد ذلك" فينبغي أن يفسر الإرسال المذكور بذلك [١] .

ومعناه: " أنه يؤمر بكتب أربعة أشياء من أحوال الجنين، فيؤمر بأربع كلمات، والمراد بالكلمات القضايا المقدرة وكل قضية تسمى كلمة، وهي الرزق، والأجل، والعمل، وحاله من الشقاوة أو السعادة، دل عليه قوله "برزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد" [٢].

والمراد من كتابة الرزق: تقديره قليلا أو كثيرا وصفته حراما أو حلالا وقال البدر العيني: "والمراد برزقه قيل الغداء حلالا أو حراما وهو كل ما ساقه الله تعالى إلى العبد لينتفع به وهو أعم لتناوله العلم ونحوه" [٣] وبالأجل: هو الزمان الذي علم الله أن الشخص يموت فيه أو مدة حياته لأنه يطلق على غاية المدة، وعلى المدة. "هل هو طويل أو قصير؟، وبالعمل هو صالح أو فاسد.

وقوله" شقي أو سعيد": أي أن الملك يكتب إحدى الكلمتين كأن يكتب مثلا أجل هذا الجنين كذا ورزقه كذا وعمله كذا وهو شقي باعتبار ما يختم له، وسعيد باعتبار ما يختم له كما دل عليه بقية الخبر، ثم المراد بجميع ما ذكر من الرزق والأجل والسعادة والشقاوة والعمل والذكورة والأنوثة أنه يظهر ذلك للملك ويؤمر بإنفاذه وكتابته، وإلا فقضاء الله وعلمه وإرادته سابق على ذلك [٤].

وأما صفة الكتابة فظاهر الحديث أنها الكتابة المعهودة في صحيفته ووقع ذلك صريحا في رواية لمسلم في حديث حذيفة بن أسيد "ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص" وفي رواية الفريابي "ثم تطوى تلك الصحيفة إلى يوم القيامة" .

أو الكتابة على الجبين ووقع في حديث أبي ذر " فيقضي الله ما هو قاض فيكتب ما هو لاق بين عينيه وتلا أبو ذر خمس آيات من فاتحة سورة التغابن [٥]، ونحوه في حديث ابن عمر في صحيح ابن حبان دون تلاوة الآية وزاد "حتى النكبة ينكبها" [٦].

قال ابن العربي [٧] : الحكمة في كون الملك يكتب ذلك كونه قابلا للنسخ والمحو والإثبات بخلاف ما كتبه الله تعالى فإنه لا يتغير.

وأما نفخ الروح دل عليه قوله_"ثم ينفخ فيه الروح".

---

(١) فتح الباري ٤٨٢/١١ .
(٢) فتح الباري ٤٨٢/١١ .
(٣) فتح الباري ١١ /٤٨٣ ،عمدة القاري ١٤٦/٢٣ ، ٣ /٢٩٥ .
(٤) فتح الباري ١١/ ٤٨٣ ، عمدة القاري ٣/ ٢٩٥ .
(٥) أخرجه الفريابي في القدر ص ١٠٨ ح رقم ١٢٣ .
(٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه : كتاب التاريخ :باب بدء الخلق ٥٤/١٤ ح رقم ٦١٧٨ .
(٧) محمد بن عبد الله بن محمد أبو بكر الإشبيلي، المالكي، صنف في الحديث والفقه، والأصول، والتفسير، من مصنفاته: أحكام القرآن والعواصم من القواصم (سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٩٧-١٩٨)

ومعنى إسناد النفخ للملك أنه يفعله بأمر الله تعالى، والنفخ في الأصل إخراج ريح من جوف النافخ ليدخل في المنفوخ فيه، والمراد بإسناده إلى الله تعالى أن يقول له كن فيكون، [١] قال البدر العيني : "ونفخ الملك في الصورة سبب لخلق الله عنده فيها الروح والحياة لأن النفخ المتعارف إنما هو إخراج ريح من النافخ فيصل بالمنفوخ فيه فإن قدر حدوث شيء عند ذلك النفخ بإحداث الله تعالى لا بالنفخ وغاية النفخ أن يكون سببا عادة لا موجبا عقلا وكذلك القول في سائر الأسباب المعتادة" [٢] .

ويكون معنى قوله "ثم يرسل إليه الملك" في رواية مسلم: أي لتصويره وتخليقه وكتابة ما يتعلق به فينفخ فيه الروح إثر ذلك كما دلت عليه رواية البخاري وغيره .

قال ابن حجر: "ووقع في رواية مسلم من طريق أبي معاوية وغيره "ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات" وظاهره قبل الكتابة **ويجمع بأن** رواية آدم صريحة في تأخير النفخ للتعبير بقوله "ثم "والرواية الأخرى محتملة فترد إلى الصريحة لأن الواو لا ترتب فيجوز أن تكون معطوفة على الجملة التي تليها، وأن تكون معطوفة على جملة الكلام المتقدم وتقديره :

أي يجمع خلقه في هذه الأطوار ويؤمر الملك بالكتب وتوسط قوله ينفخ فيه الروح بين الجمل فيكون من ترتيب الخبر على الخبر لا من ترتيب الأفعال المخبر عنها، ونقل ابن الزملكاني [٣] عن ابن الحاجب في الجواب عن ذلك: أن العرب إذا عبرت عن أمر بعده أمور متعددة ولبعضها تعلق بالأول حسن تقديمه لفظا على البقية وإن كان بعضها متقدما عليه وجودا وحسن هنا لأن القصد ترتيب الخلق الذي سيق الكلام لأجله.

وجمع بعضهم أيضا: بأن الكتابة تقع مرتين فالكتابة الأولى في السماء والثانية في بطن المرأة ويحتمل أن تكون إحداهما في صحيفة والأخرى على جبين المولود وقيل يختلف باختلاف الأجنة فبعضها كذا وبعضها كذا والأول أولى" [٤].

* * * * * *

(١) فتح الباري ١١/ ٤٨٦ .
(٢) عمدة القاري ٢٩٥/٣ .
(٣) كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم ،صاحب علم المعاني والبيان، كان قوي المشاركة في فنون العلم، ذكيا، توفي سنة ٦٥١ هـ (شذرات الذهب ٤٣٨/٧)
(٤) فتح الباري ١١/ ٤٨٥-٤٨٦ .

المطلب الثاني

الاختلاف في فهم الحديث النبوي الذي رواه الصحابي عبد الله بن مسعود حول زمن أطوار خلق الجنين

يرجع سبب هذا الاختلاف إلى ما أثبتته البحوث الطبية الحديثة والمتطورة حول علم الأجنة من أن اكتمال تكوين الجنين بمراحله الثلاثة النطفة، والعلقة، والمضغة يتم في الأربعين يوما الأولى، وذلك في منتصف القرن العشرين الميلادي الموافق القرن الثالث عشر الهجري، بينما كان الفهم السابق للحديث عند علماء المسلمين(منذ القرن السابع الميلادي الموافق للقرن الأول الهجري) هو إتمام المراحل الثلاثة للجنين خلال ثلاث أربعينيات بما يوافق مائة وعشرون يوما، ومن خلال نظرنا في ألفاظ روايات الحديث المتعددة نجد أيضا أن هناك خلافًا بين العلماء في تحديد زمن خلق الجنين، هل يقع في الأربعين الأولى أم بعد ثلاث أربعينيات (مائة وعشرون يوما)؟ وكذا وقع الخلاف في وقت نفخ الروح.

وسوف نعرض فيما يأتي ألفاظ الروايات التي اعتمد عليها العلماء في فهم الحديث ثم بيان لفهم المتقدمين والمعاصرين [1]، ونوضح وجهات النظر لكل فريق، وهل يمكن التقريب، والجمع بينهما؟

أولًا : ألفاظ الروايات التي اعتمد عليها العلماء في فهم الحديث:

لفظ رواية البخاري: " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ).

لفظ رواية مسلم:(" إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، **ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ**، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ).

رواية حذيفة بن أسيد–رضى الله عنه– عند مسلم (فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: " إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ ".

(يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ، أَوْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَيُكْتَبَانِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ فَيُكْتَبَانِ، وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَثَرُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ، ثُمَّ تُطْوَى الصُّحُفُ، فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ).

---

(١) أردت بالمتقدمين علماء المسلمين قبل القرن الثالث عشر الهجري، وبالمعاصرين علماء المسلمين من القرن الثالث عشر الهجري حتى يومنا هذا.

حديث أنس بن مالك (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا ، يَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ وَالأَجَلُ، فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ").

ثانياً: فهم المتقدمين من العلماء للحديث:

١- أن مدة خلق الجنين هي مائة وعشرون يومًا (ثلاث أربعينيات)، وأن كل مرحلة من النطفة والعلقة، والمضغة تستغرق أربعين يومًا، مستدلين على ذلك بظاهر حديث ابن مسعود، ثم بعدئذ يكون نفخ الروح فيقع في بداية الأربعين الرابعة.

٢- وأن الجنين يمر بثلاث أطوار: أ- طور الجمع في رحم المرأة (النطفة) ب- طور العلقة ج- طور المضغة وكل طور يستغرق أربعين يوما ، وبنوا فهمهم على أن لفظ (مثل ذلك) في قوله (يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ،) تشير إلى الفترة الزمنية (أربعين يوماً) واستنتجوا من ذلك أن المضغة لا تتم إلا بعد (١٢٠) يوماً.

٣- وأن نفخ الروح يكون بعد التصوير والتخليق في طور المضغة بعد نهاية الأربعين الثالثة والبدء في الأربعين الرابعة وإليك أقوال العلماء في ذلك:

قال القاضي عياض: "ولم يختلف أن نفخ الروح فيه يكون بعد مائة وعشرين يومًا وذلك تمام أربعة أشهر ودخوله في الخامس، وهذا موجود بالمشاهدة وعليه يعول فيما يحتاج إليه من الأحكام" [١] .

قال الإمام النووي [٢]: "للملك مراعاة لحال النطفة، وأنه يقول: يا رب هذه نطفة، هذه علقة، هذه مضغة في أوقاتها، وكل وقت يقول فيه ما صارت إليه، ولتصرفه وكلامه أوقات: أحدها حين يخلقها الله نطفة ثم ينقلها علقة وهو أول علم الملك بأنه ولد، لأنه ليس كل نطفة تصير ولدا، وذلك عقيب الأربعين الأولى، فحينئذ يكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، ثم للملك تصرف آخر في وقت آخر، وهو تصويره وخلق سمعه وبصره وجلده ولحمه وعظمه وكونه ذكرا أو أنثى، وذلك إنما يكون في الأربعين الثالثة، وهي مدة المضغة، وقبل انقضاء مدة هذه الأربعين، وقبل نفخ الروح فيه، لأن نفخ الروح لا يكون إلا بعد تمام صورته، ولأن التصوير عقب الأربعين الأولى غير موجود في العادة، وإنما يقع في الأربعين الثالثة وهي مدة المضغة كما قال الله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا**﴾ [٣] ثم يكون للملك فيه تصوير آخر وهو وقت نفخ الروح

---

(١) إكمال المعلم ١٢٣/٨-١٢٤ وشرح النووي ١٩١/١٦ .

(٢) أبو زكريا يحيي بن شرف بن مري بن حسن الشافعي ،علامة بالفقه والحديث، من أشهر مؤلفاته المنهاج شرح صحيح مسلم ، والأربعون النووية توفي سنة ٦٧٦هـ(تاريخ الإسلام للذهبي ١٥/ ٣٢٤).

(٣) سورة المؤمنون الآيات ١٢-١٣-١٤

عقب الأربعين الثالثة حين يكمل له أربعة أشهر، واتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر" [١] .

قال الحافظ ابن حجر:" وتكون هنا بمعنى تصير ومعناه: أنها تكون بتلك الصفة مدة الأربعين ثم تنقلب إلى الصفة التي تليها ويحتمل أن يكون المراد تصيرها شيئًا فشيئًا فيخالط الدم النطفة في الأربعين الأولى بعد انعقادها وامتدادها وتجري في أجزائها شيئًا فشيئًا حتى تتكامل علقة في أثناء الأربعين ثم يخالطها اللحم شيئًا فشيئًا إلى أن تشتد فتصير مضغة ولا تسمى علقة قبل ذلك ما دامت نطفة وكذا ما بعد ذلك من زمان العلقة والمضغة" [٢] .

كما ذهب المتقدمون إلى اعتبار حديث ابن مسعود هو الأصل لأنه المتفق فيه على ذكر الأربعين، ومن ثم التوفيق بين روايات الأحاديث الأخرى لصالح حديث ابن مسعود.

وإلى ذلك أشار الإمام ابن الصلاح فقال:" حديث حذيفة بن أسيد هذا لم يخرجه البخاري في كتابه؛ ولعل ذلك لكونه لم يجده يلتئم مع حديث ابن مسعود رضي الله عنهما، ووجد حديث ابن مسعود أقوى وأصح فارتاب بحديث حذيفة الذي مداره على أبي الطفيل عامر بن وائلة عنه فأعرض عنه، وأما مسلم فإنه خرج الحديثين معا في كتابه فأحوجنا إلى تطلب وجه يلتئمان به ولا يتنافران" [٣]

وقال ابن حجر: "إن حديث ابن مسعود لم يختلف في ذكر الأربعين، وكذا في كثير من الأحاديث وغالبها كحديث أنس لا تحديد فيه، وحديث حذيفة بن أسيد اختلفت ألفاظ نقلته فبعضهم جزم بالأربعين كما في حديث ابن مسعود، وبعضهم زاد ثنتين أو ثلاثًا أو خمسًا أو بضعًا ثم منهم من جزم ومنهم من تردد." [٤]

وجاء التوفيق بين الروايات في عدة نقاط:

النقطة الأولى: **ابتداء الجمع في رحم المرأة** :

فقد بينا فيما سبق(مرحلة الجمع) دلالة حديث عبدالله ابن مسعود–رضى الله عنه– على أن الجمع في الرحم يستغرق الأربعين يوما، ودل حديث مالك بن الحويرث أن ابتداء الجمع يكون في اليوم السابع من الجماع، وظاهر الروايات الأخرى أن ابتداء جمعه من ابتداء الأربعين، وقد جمع بينها القاضي عياض–رحمه الله– بأن حديث ابن مسعود جاء بإطلاق الأربعين، وأن ذلك يختلف باختلاف الأجنة، وأن حديث مالك بن الحويرث أفاد زيادة معنى، وهو إحضار الشبه في اليوم السابع وأن فيه يبتدئ الجمع بعد الانتشار. [٥]

---

(١) شرح النووي ١٦/ ١٨٩.
(٢) فتح الباري ٤٨١/١١ .
(٣) فتاوى ابن الصلاح ١٦٥/١ .
(٤) فتح الباري ٤٨٤/١١ .
(٥)يراجع وقت ابتداء الجمع (من البحث)

النقطة الثانية: التوفيق بين حديث ابن مسعود وآيات الخلق في القرآن الكريم:

وحديث ابن مسعود بجميع طرقه يدل على أن الجنين يتقلب في مائة وعشرين يومًا في ثلاثة أطوار كل طور منها في أربعين ثم بعد تكملتها ينفخ فيه الروح، وقد ذكر الله تعالى هذه الأطوار الثلاثة من غير تقييد بمدة في عدة سور منها في الحج ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ** ﴾ [1] دلت الآية على أن التخليق يكون للمضغة، وبين الحديث أن ذلك يكون فيها إذا تكاملت الأربعين وهي المدة التي إذا انتهت سميت مضغة، وذكر الله النطفة ثم العلقة ثم المضغة في سور أخرى وزاد في سورة قد أفلح (سورة المؤمنون) بعد المضغة ﴿ **ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ [2] الآية ويؤخذ منها ومن حديث الباب أن تصير المضغة عظامًا بعد نفخ الروح.

وقد رتب الأطوار في الآية بالفاء؛ لأن المراد أنه لا يتخلل بين الطورين طور آخر، ورتبها في الحديث بـ (ثم) إشارة إلى المدة التي تتخلل بين الطورين ليتكامل فيها الطور، وإنما أتى بـ (ثم) بين النطفة والعلقة لأن النطفة قد لا تتكون إنسانًا، وأتى بـ (ثم) في آخر الآية عند قوله (ثم أنشأناه خلقًا آخر) ليدل على ما يتجدد له بعد الخروج من بطن أمه، وأما الإتيان بـ (ثم) في أول القصة بين السلالة والنطفة فللإشارة إلى ما تخلل بين خلق آدم وخلق ولده.

النقطة الثالثة: التوفيق بين حديث ابن مسعود وحديث حذيفة-رضى الله عنهما- من حيث أن التصوير للجنين في حديث حذيفة يقع في نهاية الأربعين الأولى وبداية الثانية بخلاف حديث ابن مسعود أن التصوير في الأربعين الثالثة وهي طور المضغة.

حيث جاء في حديث حذيفة بن أسيد عند مسلم ما ظاهره يخالف حديث ابن مسعود ولفظه" إذا مر بالنطفة ثلاث وأربعون" وفي نسخة "اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم قال أي رب أذكر أم أنثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب أجله" الحديث، وقد أخرجه جعفر الفريابي من طريق يوسف المكي عن أبي الطفيل عنه بلفظ " **إِنَّ النُّطْفَةَ إِذَا وَقَعَتْ فِي الرَّحِمِ ثُمَّ اسْتَقَرَّتْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» قَالَ: «فَيَجِيءُ مَلَكُ الرَّحِمِ فَيَدْخُلُ فَيُصَوِّرُ لَهُ عَظْمَهُ وَلَحْمَهُ وَدَمَهُ وَشَعْرَهُ وَبَشَرَهُ وَسَمْعَهُ وَبَصَرَهُ» قَالَ: " ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى** " الحديث.[3]

---

(١) سورة الحج من الآية ٥

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٤

(٣) أخرجه الفريابي في القدر ص١١٤ ح رقم ١٣٢

قال القاضي عياض: "وحمل هذا على ظاهره لا يصح لأن التصوير بأثر النطفة وأول العلقة في أول الأربعين الثانية غير موجود ولا معهود وإنما يقع التصوير في آخر الأربعين الثالثة كما قال تعالى﴿ **ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا**﴾ (١) الآية قال فيكون معنى قوله فصورها إلخ أي كتب ذلك ثم يفعله بعد ذلك بدليل قوله بعد" أذكر أو أنثى" قال "وخلقه" جميع الأعضاء والذكورية والأنوثية يقع في وقت متفق وهو مشاهد فيما يوجد من أجنة الحيوان وهو الذي تقتضيه الخلقة واستواء الصورة ثم يكون للملك فيه تصور آخر وهو وقت نفخ الروح فيه حين يكمل له أربعة أشهر كما اتفق عليه العلماء أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة اشهر (٢) .

وقال الإمام ابن الصلاح: "فأحوجنا إلى تطلب وجه يلتئمان به ولا يتنافران وقد وجدناه ولله الحمد الأتم فأقول: الملك يرسل غير مرة إلى الرحم يرسل مرة عقيب الأربعين الأولى بدلالة حديث حذيفة بن أسيد بألفاظه في رواياته المتعددة فيكتب رزقه وأجله وعمله وحاله في السعادة والشقاء وغير ذلك ويرسل مرة أخرى عقيب الأربعين الثانية فينفخ فيه الروح بدلالة حيث ابن مسعود وغيره ثم أنه يشكل وراء هذا من حديث حذيفة في قوله في بعض رواياته عند ذكر إرسال الملك عقيب الأربعين الأولى فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب ذكر أو أنثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب إلى آخره

ومن المعلوم أن هذا التصوير لا يكون في الأربعين الثانية فإنه يكون فيها علقة وإنما يكون هذا التصوير قريبا من نفخ الروح وهكذا روينا ذلك مصرحا به في بعض روايات حديث حذيفة خارج الصحيح وسبيل الجواب عن هذا الإشكال أن يحمل قوله فصورها على معنى فصورها قولا كتابا لا فعلا أي فذكر تصويرها وكتب ذلك والدليل على صحة هذا أن جعلها ذكرا أو أنثى يكون مع التصاوير المذكورة وقد قال في جعله ذكرا أو أنثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك الى آخره" (٣)

وتعقب هذا الحافظ ابن حجر فقال:" وقد نوزع في أن التصوير حقيقة إنما يقع في الأربعين الثالثة بأنه شوهد في كثير من الأجنة التصوير في الأربعين الثانية وتمييز الذكر على الأنثى فعلى هذا فيحتمل أن يقال أول ما يبتدئ به الملك تصوير ذلك لفظًا وكتبا ثم يشرع فيه فعلًا عند استكمال العلقة ففي بعض الأجنة يتقدم ذلك وفي بعضها يتأخر ولكن بقي في حديث حذيفة بن أسيد أنه ذكر العظم واللحم وذلك لا يكون إلا بعد أربعين العلقة فيقوى ما قال عياض ومن تبعه" (٤).

---

(١) سورة المؤمنون آية ١٣-١٤

(٢) اكمال المعلم ١٢٧/٨-١٢٨ ، شرح النووي ١٢٠/١٦-١٢١ ، فتح الباري ٤٨٤/١١.

(٣) فتاوى ابن الصلاح ١٦٥/١-١٦٦

(٤) فتح الباري ٤٨٤/١١

وقال ابن حجر:" يحتمل أن يكون الملك عند انتهاء الأربعين الأولى يقسم النطفة إذا صارت علقة إلى أجزاء بحسب الأعضاء أو يقسم بعضها إلى جلد وبعضها إلى لحم وبعضها إلى عظم فيقدر ذلك كله قبل وجوده ثم يتهيأ ذلك في آخر الأربعين الثانية ويتكامل في الأربعين الثالثة ".

وأشار أيضًا إلى أن: معنى حديث ابن مسعود–رضى الله عنه– أن النطفة يغلب عليها وصف المني في الأربعين الأولى ووصف العلقة في الأربعين الثانية ووصف المضغة في الأربعين الثالثة ولا ينافي ذلك أن يتقدم تصويره والراجح أن التصوير إنما يقع في الأربعين الثالثة، ويؤيده حديث أنس حيث قال بعد ذكر النطفة ثم العلقة ثم المضغة "فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال أي رب أذكر أم أنثى "الحديث .[١]

النقطة الرابعة: التوفيق بين حديث ابن مسعود ومن أخذ بحديث حذيفة أن التخليق في الأربعين الأولى:

ذكر الحافظ ابن حجر أن بعض الشراح المتأخرين مالوا إلى الأخذ بما دل عليه حديث حذيفة بن أسيد من أن التصوير والتخليق يقع في أواخر الأربعين الثانية حقيقة، وليس في حديث ابن مسعود ما يدفعه .

فذكر قول الإمام ابن القيم [٢] :" أن داخل الرحم خشن كالسفنج وجعل فيه قبولا للمني كطلب الأرض العطشى للماء فجعله طالبا مشتاقا إليه بالطبع فلذلك يمسكه ويشتمل عليه ولا يزلقه بل ينضم عليه لئلا يفسده الهواء فيأذن الله لملك الرحم في عقده وطبخه أربعين يوما وفي تلك الأربعين يجمع خلقه قالوا إن المني إذا اشتمل عليه الرحم ولم يقذفه استدار على نفسه واشتد إلى تمام ستة أيام فينقط فيه ثلاث نقط في مواضع القلب والدماغ والكبد ثم يظهر فيما بين تلك النقط خطوط خمسة إلى تمام ثلاثة أيام ثم تنفذ الدموية فيه إلى تمام خمسة عشر فتتميز الأعضاء الثلاثة ثم تمتد رطوبة النخاع إلى تمام اثني عشر يوما ثم ينفصل الرأس عن المنكبين والأطراف عن الضلوع والبطن عن الجنين في تسعة أيام ثم يتم هذا التمييز بحيث يظهر للحس في أربعة أيام فيكمل أربعين يوما فهذا معنى قوله ﷺ يجمع خلقه في أربعين يوما وفيه تفصيل ما أجمل فيه. [٣]

ووفق الامام ابن القيم بين أن تصوير الجنين يقع في الأربعين الأولى، وبين مدلول حديث ابن مسعود أنه يقع في ثلاث أربعينيات:

بقوله :" ولا ينافي ذلك قوله ثم تكون علقة مثل ذلك فإن العلقة وإن كانت قطعة دم لكنها في هذه الأربعين الثانية تنتقل عن صورة المني ويظهر التخطيط فيها ظهورا خفيا على التدريج ثم يتصلب في الأربعين يوما بتزايد ذلك التخليق شيئا فشيئا حتى يصير مضغة مخلقة ويظهر للحس ظهورا لا خفاء به وعند تمام الأربعين الثالثة والطعن في الأربعين الرابعة ينفخ فيه الروح كما وقع في هذا الحديث الصحيح وهو

---

(١) فتح الباري ١١/٤٨٤-٤٨٥

(٢) محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية ألف تصانيف كثيرة وجمة منها: أعلام الموقعين، زاد المعاد في هدى خير العباد، وغيرها. توفى سنة ٧٥١هـ بدمشق. (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ١/٤٨٠، الأعلام ٦/٥٦).

(٣) التبيان في أقسام القرآن ص ٣٣٦- ٣٣٧ ، فتح الباري ١١/ ٤٨١

ما لا سبيل إلى معرفته إلا بالوحي حتى قال كثير من فضلاء الأطباء وحذاق الفلاسفة إنما يعرف ذلك بالتوهم والظن البعيد". [١]

وقال الإمام ابن رجب:" وذكر علماء أهل الطب أن المني إذا حصل في الرحم حصل له زبدية ورغوة في ستة أيام أو سبعة من غير استمداد من الرحم ثم يستمد من الرحم ويبتدئ فيه الخطوط بعد ثلاثة أيام أو نحوها ثم في الخامس عشر ينفذ الدم إلى الجميع فيصير علقة ثم تتميز الأعضاء وتمتد رطوبة النخاع وينفصل الرأس عن المنكبين والأطراف عن الأصابع تمييزا يظهر في بعض ويخفى في بعض وينتهي ذلك إلى ثلاثين يوما في الأقل وخمسة وأربعين في الأكثر لكن لا يوجد سقط ذكر قبل ثلاثين ولا أنثى قبل خمسة وأربعين" [٢].

وذكر أيضًا:" وقد حمل بعضهم حديث ابن مسعود على أن الجنين يغلب عليه في الأربعين الأولى وصف المني، وفي الأربعين الثانية وصف العلقة، وفي الأربعين الثالثة وصف المضغة، وإن كانت خلقته قد تمت وتم تصويره، وليس في حديث ابن مسعود ذكر وقت تصوير الجنين" [٣] .

وأشار الإمام ابن رجب إلى وجه الجمع بين الحديثين فقال: "فيكون قوله "فيكتب" معطوفا على قوله "يجمع" وأما قوله "ثم يكون علقة مثل ذلك" فهو من تمام الكلام الأول وليس المراد أن الكتابة لا تقع إلا عند انتهاء الأطوار الثلاثة فيحمل على أنه من ترتيب الأخبار لا من ترتيب المخبر به، ويحتمل أن يكون ذلك من تصرف الرواة برواياتهم بالمعنى الذي يفهمونه" [٤]

ورجح الإمام ابن حجر القول بظاهر حديث ابن مسعود فقال:" والحمل على ظاهر الأخبار أولى، وغالب ما نقل عن هؤلاء دعاوى لا دلالة عليها. [٥]

النقطة الخامسة: التوفيق بين لفظ الرواية عند الامام البخاري، ولفظ الرواية عند الامام مسلم من حيث تقدم الكتابة وتأخر النفخ في لفظ البخاري، وعكسه بتقدم نفخ الروح وتأخر الكتابة عند مسلم .

قال الإمام ابن رجب : "واختلفت ألفاظ روايات هذا الحديث في ترتيب الكتابة والنفخ ففي رواية البخاري في صحيحه "ويبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات ثم ينفخ فيه الروح" ففي هذه الرواية تصريح بتأخير نفخ الروح عن الكتابة وفي رواية خرجها البيهقي في كتاب القدر "ثم يبعث الملك فينفخ فيه الروح ثم يؤمر بأربع كلمات "وهذه الرواية تصرح بتقدم النفخ على الكتابة.

١- فإما أن يكون هذا من تصرف الرواة برواياتهم بالمعنى الذي يفهمونه، وإما أن يكون المراد ترتيب الأخبار فقط لا ترتيب ما أخبر به، وبكل حال فحديث ابن مسعود يدل على تأخير نفخ الروح في الجنين وكتابة الملك لأمره إلى بعد أربعة أشهر حتى تتم الأربعون الثالثة فأما نفخ الروح فقد روي صريحا عن الصحابة – رضي الله عنهم– أنه ينفخ فيه الروح بعد أربعة أشهر كما دل عليه ظاهر حديث ابن مسعود [٦] .

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ص ٣٣٧ ، فتح الباري ١١/ ٤٨١-٤٨٢
(٢)جامع العلوم والحكم ١٦٣/١
(٣) جامع العلوم والحكم ١٦٤/١.
(٤) جامع العلوم والحكم ١/ ١٦٧
(٥) فتح الباري ٤٨٥/١١
(٦) جامع العلوم والحكم ١٦٧/١ .

٢- وقد جمع بعضهم بين هذه الأحاديث والآثار وبين حديث ابن مسعود فأثبت الكتابة مرتين، وقد يقال مع ذلك إن أحدهما في السماء والآخر في بطن الأم، والأظهر والله أعلم أنها مرة واحدة

٣- ولعل ذلك يختلف باختلاف الأجنة فبعضهم يكتب له ذلك بعد الأربعين الأولى، وبعضهم بعد الأربعين الثالثة.

٤- وقد يقال إن لفظة "ثم" في حديث ابن مسعود إنما يراد به ترتيب الأخبار لا ترتيب المخبر عنه في نفسه والله أعلم.

٥- ومن المتأخرين من رجح أن الكتابة تكون في أول الأربعين الثانية كما دل عليه حديث حذيفة بن أسيد، وقال إنما أخر ذكرها في حديث ابن مسعود إلى ما بعد ذكر المضغة وأن ذكره بلفظ ثم لئلا ينقطع ذكر الأطوار الثلاثة التي ينقلب فيها الجنين وهو كونه نطفة وعلقة ومضغة فإن ذكر هذه الثلاثة على نسق واحد أعجب وأحسن، ولذلك أخر المعطوف عليها وإن كان المعطوف متقدما على بعضها في الترتيب، واستشهد لذلك بقوله تعالى ﴿ **وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ**﴾ [١] والمراد بالإنسان آدم عليه السلام ومعلوم أن تسويته ونفخ الروح فيه كان قبل جعل نسله من سلالة من ماء مهين لكن لما كان المقصود ذكره قدرة الله -عز و جل- في مبدأ خلق آدم وخلق نسله عطفت أحدهما على الآخر وأخر ذكر تسوية آدم ونفخ الروح وإن كان ذلك متوسطا بين خلق آدم من طين وبين خلق نسله والله أعلم، وقد ورد أن هذه الكتابة تكتب بين عيني الجنين[٢].

النقطة السادسة: التوفيق بين وقت الكتابة في حديث ابن مسعود في الطور الرابع، ووقت الكتابة في حديث حذيفة بن أسيد في الطور الأول:

نجد في حديث ابن مسعود حديث أن وقت كتابة الأجل والشقاوة والسعادة والرزق في الطور الرابع، وحديث حذيفة بن أسيد يدل على أن وقت الكتابة في الطور الأول، وقد روي حديث حذيفة بلفظ أخر [٣] يتبين المراد منه، وأن الحديثين واحد وأنهما متصادقان لا متعارضان، فدل حديث حذيفة على أن الكتابة المذكورة وقت تصويره وخلق جلده ولحمه وعظمه وهذا مطابق لحديث ابن مسعود، فإن هذا التخليق هو في الطور الرابع وفيه وقعت الكتابة.

فإن قيل فما تصنع بالتوقيت فيه بأربعين ليلة قلت التوقيت فيه بيان أنها قبل ذلك لا يتعرض لها ولا يتعلق بها تخليق ولا كتابة فإذا بلغت الوقت المحدود وجاوزت الأربعين وقعت في أطوار التخليق طبقا بعد طبق ووقع حينئذ التقدير والكتابة، وحديث ابن مسعود صريح في أن وقوع ذلك بعد كونه مضغة بعد الأربعين الثالثة،

---

(١) سورة السجدة الآيات ٧-٨-٩

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ١٧٣ .

(٣) يراجع نص الحديث(في تخريج الحديث من البحث)

وحديث حذيفة فيه أن ذلك بعد الأربعين ولم يوقت البعدية بل أطلقها ووقتها في حديث ابن مسعود، وقد ذكرنا أن حديث حذيفة دال أيضا على ذلك. [١]

ويحتمل وجها آخر وهو أن التقدير والكتابة تقديران وكتابتان:

فالأول منهما: عند ابتداء تعلق التحويل والتخليق في النطفة وهو إذا مضى عليها أربعون ودخلت في طور العلقة وهذا أول تخليقه.

والتقدير الثاني والكتابة الثانية : إذا كمل تصويره وتخليقه وتقدير أعضائه وكونه ذكرا أو أنثى من الخارج فتكتب مع ذلك عمله ورزقه وأجله وشقاوته وسعادته، فلا تنافي بين الحديثين والحمد لله رب العالمين. [٢]

ثالثا: فهم المعاصرين من العلماء للحديث:

١- أن مدة خلق الجنين هي الأربعين يوما الأولى، مستدلين بالزيادة الواقعة في رواية الإمام مسلم "في ذلك"، وكذا رواية حذيفة بن أسيد (إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا) .

فهناك من العلماء المتقدمين أيضًا من اختار أن الجنين يتخلق في نحو الأربعين .

وقد نقل الفاضل علي بن المهذب الحموي الطبيب [٣] اتفاق الأطباء على أن خلق الجنين في الرحم يكون في نحو الأربعين وفيها تتميز أعضاء الذكر دون الأنثى لحرارة مزاجه وقواه وأعبد إلى قوام المني الذي تتكون أعضاؤه منه ونضجه فيكون أقبل للشكل والتصوير" . [٤]

وأيضًا ذكر الإمام ابن القيم أن داخل الرحم خشن كالسفنج وجعل فيه قبولا للمني كطلب الأرض العطشى للماء فجعله طالبًا مشتاقًا إليه بالطبع فلذلك يمسكه ويشتمل عليه ولا يزلقه بل ينضم عليه لئلا يفسده الهواء فيأذن الله لملك الرحم في عقده وطبخه أربعين يوما وفي تلك الأربعين يجمع خلقه قالوا إن المني إذا اشتمل عليه الرحم ولم يقذفه استدار على نفسه واشتد إلى تمام ستة أيام فينقط فيه ثلاث نقط في مواضع القلب والدماغ والكبد ثم يظهر فيما بين تلك النقط خطوط خمسة إلى تمام ثلاثة أيام ثم تنفذ الدموية فيه إلى تمام خمسة عشر فتتميز الأعضاء الثلاثة ثم تمتد رطوبة النخاع إلى تمام اثني عشر يوما ثم ينفصل الرأس عن المنكبين والأطراف عن الضلوع والبطن عن الجنين في تسعة أيام ثم يتم هذا التمييز بحيث يظهر للحس في أربعة أيام فيكمل أربعين يوما فهذا معنى قوله ﷺ يجمع خلقه في أربعين يوما وفيه تفصيل ما أجمل فيه [٥].

---

(١)عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته للعظيم أبادي ٣١٢/١٢

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته للعظيم أبادي ٣١٣/١٢ .

(٣) علي بن عبد الكريم بن طرخان بن تقي الشيخ علاء الدين أبو الحسن ابن مهذب الدين الحموي الصفدي يعرف بعلاء الدين الكحال ، له تصانيف منها كتاب القانون في أمراض العين، وكتاب الأحكام النبوية في الصناعة الطبية توفي سنة ٧٢٠هـ .(الوافي بالوفيات٢١/ ١٧٥ ،الدرر الكامنة ٨٤/٤)

(٤) فتح الباري ١١/ ٤٨١

(٥) التبيان في أقسام القرآن ص ٣٣٦- ٣٣٧ ، فتح الباري ١١/ ٤٨١

وقال الإمام ابن رجب : "وقد ذكر علماء أهل الطب ما يوافق ذلك، وقالوا: إن المني إذا وقع في الرحم، حصل له زبدية ورغوة ستة أيام أو سبعة، وفي هذه الأيام تصور النطفة من غير استمداد من الرحم، ثم بعد ذلك تستمد منه، وابتداء الخطوط والنقط بعد هذا بثلاثة أيام، وقد يتقدم يوما ويتأخر يوما ، ثم بعد ستة أيام – وهو الخامس عشر من وقت العلوق – ينفذ الدم إلى الجميع فيصير علقة، ثم تتميز الأعضاء تميزا ظاهرا، ويتنحى بعضها عن مماسة بعض، وتمتد رطوبة النخاع، ثم بعد تسعة أيام ينفصل الرأس عن المنكبين، والأطراف عن الأصابع تميزا يتبين في بعض، ويخفى في بعض. قالوا: وأقل مدة يتصور الذكر فيها ثلاثون يوما، والزمان المعتدل في تصور الجنين خمسة وثلاثون يوما ، وقد يتصور في خمسة وأربعين يوما.

قالوا: ولم يوجد في الأسقاط ذكر تم قبل ثلاثين يوما، ولا أنثى قبل أربعين يوما ، فهذا يوافق ما دل عليه حديث حذيفة بن أسيد في التخليق في الأربعين الثانية، ومصيره لحما فيها أيضا[١].

وهذا الذي ذكره ابن رجب وشيخه ابن القيم – رحمهما الله تعالى – يكاد يكون متفقاً مع ما يقرره الأطباء حديثاً، وقد أصبحت الأجنة مشاهدة بواسطة آلات التصوير والمناظير، فصارت عند علماء الأجنة من الأطباء من الأمور الظاهرة، وعندهم التخليق يبدأ مبكراً من أيام الأربعين الأولى، وأحاديث رسول الله ﷺ لا تخالف الواقع، وإنما يأتي الغلط من عدم فهم مراده ﷺ [٢].

كما نجد أن القول بالتخليق والتصوير يقع في أول الأربعين الثانية بدأ الميل إلى اعتباره بذكر الإمامين ابن القيم، وابن رجب بالإشارة إليه في شرح الحديث، وهما من علماء القرن السابع الهجري وما بعده، وهو الأخذ بما هو متاح لهم من علوم ومعارف في عصورهم ومحاولة مدى موافقته لنصوص الأحاديث .

ورجح العلماء المعاصرون هذا القول لأنه يتوافق مع رأي علماء التشريح وعلم الأجنة لما أصبحوا يمتلكوا من أجهزة وآلات تراقب الجنين لحظة بلحظة.

وذلك ضمن الأبحاث العلمية التي جاءت ضمن المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة الذي تم انعقاده في باكستان عام ١٩٧٨م، ومنها: أطوار خلق الانسان في الأيام الأربعين الأولى جولي سمسون عبد المجيد الزنداني ، مصطفى أحمد، وأيضًا بحث: وصف التخلق البشري طورا العلقة والمضغة كيث.ل مور عبد المجيد الزنداني ، مصطفى أحمد.

فرجحوا أن زمن خلق الجنين هي الأربعين يوما الأولى، وفيها يكون أطوار النطفة والعلقة والمضغة مجتمعة ، وأعادوا الفهم في نصوص الروايات، واعتبروا أن رواية حذيفة بن أسيد مع رواية ابن مسعود(بالزيادة) عند الامام مسلم تكاملية مع لفظ الرواية عند الإمام البخاري، وليس هناك تعارض بينهما.

---

(١) جامع العلوم والحكم ١٦٤/١ .

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ٢١٥/٢ لعبد الله بن محمد الغنيمان.

ولأهمية هذا الأمر ننقل ما أورده العلماء في المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة **بحث (أطوار خلق الانسان في الأيام الأربعين الأولى جولي سمسون عبد المجيد الزنداني ، مصطفى أحمد، وجاء فيه:**

"وبعد تجميع النصوص الواردة في الباب وتحقيقها والنظر فيها جميعاً تبين أن القول بأن المضغة لا تتم إلا بعد مائة وعشرين يوماً قول غير صحيح للأدلة التالية :

١) روى حديث عبد الله بن مسعود السابق كل من الإمامين البخاري ومسلم ، ولكن رواية مسلم تزيد لفظ (في ذلك) في موضعين قبل لفظ (علقة) وقبل لفظ (مضغة) وهي زيادة صحيحة تعتبر كأنها من أصل المتن جمعاً بين الروايات .

وعلى هذا تكون الرواية التامة لألفاظ الحديث كما هي ثابتة في لفظ مسلم (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ... الحديث).

٢) ذكر القرآن الكريم أن العظام تتكون بعد طور المضغة ، قال تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ﴾ وحدد النبي ﷺ في حديث حذيفة أن بدء تخلق العظام يكون بعد الليلة الثانية والأربعين من بدء تكون النطفة فقال ﷺ (إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ... الحديث).

فالقول بأن العظام يبدأ تخليقها بعد مائة وعشرين يوماً يتعارض مع ظاهر الحديث الذي رواه حذيفة تعارضاً بيناً .

٣) أثبت دراسات علم الأجنة الحديثة والمستيقنة أن تكون العظام يبدأ بعد الأسبوع السادس مباشرة ، وليس بعد الأسبوع السابع عشر مما يؤيد المعنى الواضح الظاهر لحديث حذيفة .

وعلى هذا يتضح أن معنى (مثل ذلك) في حديث عبد الله بن مسعود لا يمكن أن يكون مثلية في الأربعينات من الأيام .

وللتوفيق بين أحاديث النبي ﷺ في هذا الباب نقول : إنه لما كان اسم الإشارة – في قوله مثل ذلك – لفظاً يمكن صرفه إلى واحد من ثلاثة أشياء ذكرت قبله في الحديث ، وهي :

جمع الخلق ، وبطن الأم ، وأربعين يوماً . فهو لفظ مجمل يحمل على اللفظ المبين للمقصود من اسم الإشارة في قوله ، والذي يبين لنا ذلك حديث حذيفة الذي يمنع مضمونه أن يعود اسم الإشارة على الفترة الزمنية (أربعين يوماً) لأن النص المجمل يحمل على النص المبين حسب قواعد الأصوليين .

ولا يصح أن يعود اسم الإشارة على (بطن الأم) لأن تكراره في الحديث لا يفيد معنى جديداً فكأنه قال : (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك البطن علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك البطن مضغة مثل ذلك) وهذا التكرار للفظ البطن سيكون حشواً في الكلام يتعارض مع فصاحة رسول الله ﷺ .

وإذا كان اسم الإشارة في الحديث لا يصح إعادته إلى الأربعين يوماً ولا إلى بطن الأم فيتعين –بناء على ذلك– أن يعود اسم الإشارة في قوله(مثل ذلك) على جمع الخلق، لا على الأربعينات، وهو ما توصل إليه، وحققه أحد علماء المسلمين المشهورين– ابن الزملكاني– في القرن السابع الهجري .

واستنتج من ذلك أن النطفة والعلقة والمضغة تتم خلال الأربعين يوماً الأولى .

قال ابن الزملكاني: " وأما حديث البخاري فنزل على ذلك، إذ معنى يجمع في بطن أمه، أن يحكم ويتقن، ومنه رجل جميع أي مجتمع الخلق"[١] .

فهما متساويان في مسمى الإتقان والإحكام لا في خصوصه ، ثم إنه يكون مضغة في حصتها أيضاً من الأربعين ، محكمة الخلق مثلما أن صورة الإنسان محكمة بعد الأربعين يوماً فنصب مثل ذلك على المصدر لا على الظرف .

ونظيره في الكلام قولك : إن الإنسان يتغير في الدنيا مدة عمره ثم تشرح تغيره فتقول : ثم إنه يكون رضيعاً ثم فطيماً ثم يافعاً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً ثم هرماً يتوفاه الله بعد ذلك .

وذلك من باب ترتيب الإخبار عن أطواره التي ينتقل فيها مدة بقائه في الدنيا .

ومعلوم من قواعد اللغة العربية أن (ثم) تفيد الترتيب والتراخي بين الخبر قبلها، وبين الخبر بعدها، إلا إذا جاءت قرينة تدل على أنها لا تفيد ذلك، مثل قوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ... ﴾. [٢]

ومن المعلوم أن وصية الله لنا في القرآن جاءت بعد كتاب موسى فـ (ثم) هنا لا تفيد ترتيب المخبر عنه في الآية، وعلى هذا يكون معنى حديث ابن مسعود : [إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك (أي في ذلك العدد من الأيام) علقة (مجتمعة في خلقها) مثل ذلك (أي مثلما اجتمع خلقكم في الأربعين) ثم يكون في ذلك (أي في نفس الأربعين يوماً) مضغة (مجتمعة مكتملة الخلق المقدر لها) مثل ذلك أي مثلما اجتمع خلقكم في الأربعين يوماً] وبهذا التوفيق بين النصوص يرتفع الخلاف .

وقوله (ثم يكون علقة مثل ذلك) أي : ثم إنه يكون في الأربعين المذكورة علقة تامة الخلق ، متقنة محكمة الإحكام الممكن لها ، الذي يليق بنعمه سبحانه وتعالى .[٣]

وبعد أن استعرضنا آراء العلماء المتقدمين والمعاصرين حول فهم زمن أطوار خلق الجنين بقي لنا هل هناك ثمة اختلاف كبير بينهما ؟ وهل يمكن التقريب بين الفهمين والجمع بينهما؟

---

(١) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن الكريم ص ٢٧٥.

(٢) سورة الأنعام من الآيتين ١٥٣-١٥٤ .

(٣) بحث (أطوار خلق الانسان في الأيام الأربعين الأولى جولي سمسون عبد المجيد الزنداني ، مصطفى أحمد، ضمن(علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة) من أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة المنعقد في باكستان في الفترة ٢٥-٢٨ صفر ١٤٠٨هـ ١٨-٢١ اكتوبر١٩٧٨م الباب السادس ٧٠/١-٧٣ .

يمكننا الإجابة عن هذا بأنه ليس هناك ثمة اختلاف كبير لدى المتقدمين والمعاصرين من علماء المسلمين مقارنة بغيرهم أيضًا من العلماء المعاصرين من غير المسلمين، ونوضح ذلك فيما يلي:

١- معرفة علماء المسلمين المتقدمين والمعاصرين بمسميات أطوار الخلق كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية (النطفة –العلقة –المضغة) منذ أربعة عشر قرنا، وهو ما وقف عليه أطباء الغرب، وغير المسلمين في بداية القرن العشرين وبوسائل عصرية من أجهزة وآلات تسمح بمراقبة الجنين، والتعبير عن هذه الأطوار بما ورد في القرآن والسنة.

٢- أن فهم المتقدمين للحديث بناء على حسب ما أتيح لهم من وسائل عصرهم.

٣- أن فهم المتقدمين كان أيضًا سبقا لهم في وقتهم من معرفة مراحل أطوار الجنين(النطفة والعلقة والمضغة)، وكذلك الوقوف على زمن تنقل الأطوار لاستمدادهم هذا من ينابيع القرآن الكريم والسنة النبوية على العكس مما بينه العلماء الأطباء المعاصرين من غير المسلمين الذين لم يقفوا على هذا إلا مع بداية القرن العشرين الميلادي أي بعد حوالي أربعة عشر قرنا(١٤٠٠) من نزول القرآن الكريم وبيان السنة النبوية حيث أن النطفة، والعلقة، والمضغة، التي ذكرها القرآن الكريم لم تكن معروفة أصلاً في تلك الأيام.

٤- المنهج العلمي المنضبط الذي يسير عليه علماء المسلمين والذي من سماته الأخذ بالوسائل المتاحة في كل عصر لفهم النصوص الشرعية، وقد ظهر هذا هنا جليًا عند الشراح المتأخرين (ابن القيم ،وابن رجب) من رجح التأويل الثاني أن زمن أطوار خلق الجنين كلها تقع في أربعين يومًا.

٥- اختلاف فهم المعاصرين عن فهم المتقدمين رجع إلى التطور العلمي الهائل في المجال الطبي من الأجهزة الطبية الحديثة التي أتاحت مراقبة الجنين وهو ما لم يتوفر للمتقدمين.

٦- اتفاق المتقدمين والمعاصرين على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد التصوير بعد طور المضغة.

* * * * * *

المطلب الثالث

أوجه الإعجاز في الأربعين يومًا الأولى

ولقد لخص العلماء أوجه الإعجاز في تخليق الجنين خلال الأربعين يوماً الأولى فيما يأتي:

١) جمع خلق الإنسان: قال عليه الصلاة والسلام: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا) فظاهر من الحديث أن خلق الإنسان يجمع في أربعين يومًا .

ويقرر الأطباء بعد رحلة طويلة من الدراسة والتشريح الدقيق لجسم الجنين في الأربعين يومًا الأولى، أن الأعضاء الرئيسية للإنسان جميعًا، تتخلق واحداً بعد الآخر فلا تمر الأربعون يومًا الأولى إلا وقد اجتمعت جميع الأجهزة، ولكن في صورة براعم . وتكون مجموعة في حيز لا يزيد عن سنتيمتر. كما أن الجنين يكون مجموعا حول نفسه بالتفاف في شكل قوس، أو شبه حرف (C) بالإنجليزية.

٢) (ثم يكون، في ذلك علقة مثل ذلك) :

أي ثم يكون علقة مكتملة الخلق المقدر لها، مثل ما اكتمل خلق الإنسان، واجتمع في الأربعين يومًا الأولى، كما سبق البيان، ويقرر العلم الحديث أن الجنين فيما بين اليوم الخامس عشر إلى اليوم الرابع والعشرين يأخذ صورة العلقة التي تسبح في البرك ، وتتعلق بالماشية .

٣) (ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك) وهذه معجزة أخرى تبين دقة الاسم الذي أطلق في القرآن الكريم والسنة النبوية، على الطور الذي يأتي بعد طور العلقة، وهو اسم : مضغة.

كما يتجلى الإعجاز مرة ثانية في بيان أن طور المضغة يتطور تدريجياً ، حتى يأخذ شكل المضغة المستديرة المميزة بعلامات تشبه طبع الأسنان عليها ، وبسطح غير منتظم .

وكما ذكرنا فإن الأعضاء الأساسية في الداخل تبدأ في التمايز، وتنتج الفراغات بين الكتل البدنية شكلًا أشبه بالمادة الممضوغة، وبالتدريج يأخذ الجنين شكل المضغة .

٤) يدل الحديث على أن النطفة والعلقة والمضغة تتم خلال الأربعين يومًا الأولى بالرغم من أن الجنين خلال هذه الفترة يكون صغيرًا جداً، والفترة الزمنية بينها قصيرة، وتقدير عمر الجنين قبل اكتشاف البويضة وارتباط دورة الحيض بها أمر في غاية الصعوبة .

والتحديد حينئذ عرضة للخطأ بزيادة أو نقص في تقدير عمر الجنين يصل إلى واحد وعشرين يومًا، لأن الذي يقدر العمر لا يعلم متى بدأ الحمل من أول الطهر أم في آخره [١].

إشادة علماء الغرب بما ورد في السنة النبوية حول تخلق الجنين: (**د كيث ل مور نموذجا**):

لقد أشاد الكثير من علماء الغرب بمراحل خلق الجنين في السنة النبوية، ومن ذلك: شهادة العالم الكندي البروفيسور"كيث ل. مور" (Dr Keith.L.Moore)، أستاذ (علم التشريح والأجنة) بجامعة تورنتو بكندا، والذي أعلن في أحد المؤتمرات قوله : "إن أوصاف الأجنة البشرية في القرآن الكريم لا يمكن بناؤها على المعرفة

(١) بحث (أطوار خلق الانسان في الأيام الأربعين الأولى جولي سمسون عبد المجيد الزنداني ، مصطفى أحمد، ضمن(علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة) من أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة المنعقد في باكستان في الفترة ٢٥-٢٨ صفر ١٤٠٨هـ ١٨-٢١ اكتوبر١٩٧٨م الباب السادس ١/٧٠-٧٣ .

العلمية للقرن السابع، والاستنتاج الوحيد المعقول هو : أن هذه الأوصاف قد أوحيت إلى محمد ﷺ من الله، إذ ما كان له أن يعرف مثل هذه التفاصيل لأنه كان أميًا، ولهذا لم يكن قد نال تدريبًا علميًا " .

وقال أيضًا:" لقد أسعدني جدًا أن أشارك في توضيح هذه الآيات والأحاديث التي تتحدث عن الخلق في القرآن الكريم والحديث الشريف، ويتضح لي أن هذه الأدلة حتمًا جاءت لمحمد من عند الله؛ لأن كل هذه المعلومات لم تكتشف إلا حديثًا وبعد قرون عدة، وهذا يثبت لي أن محمدًا كان رسولًا من عند الله " [١].

متى تنفخ الروح في الجنين؟ أبعد أربعين واحدة أم بعد ثلاثة أربعينات؟

دلت الأحاديث النبوية الشريفة على أن الروح تنفخ في الجنين بعد التصوير ويكون بعد الأربعين الثالثة، إلا أنه لم يمكن القطع في أي وقت بالتحديد تنفخ الروح بعد التصوير، وهذا أيضًا ما أشار إليه الأطباء غير أن الفارق بين القولين اعتبار تمام زمن التصوير حيث دلت الأحاديث على ثلاث أربعينيات بينما الأطباء المعاصرون ذكروا أنها تكون بعد الأربعين الأولى. وأشار د/ عبد الجواد الصاوي إلى ذلك بقوله: "إن هذه القضية لا يفصل فيها العلم الحديث ولكن تفصل فيها النصوص الشرعية. ولا يوجد ـ فيما أعلم ـ نص صريح وصحيح إلا حديث جمع الخلق الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما. وقد اتفق علماء المسلمين أن الجنين تنفخ فيه الروح بعد اكتمال طور المضغة، بناء على هذا النص النبوي الصريح . وبما أنه قد ثبت أن زمن المضغة يقع في الأربعين يومًا الأولى، بنص رواية الإمام مسلم لحديث جمع الخلق، وحديث حذيفة بن أسيد (إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون يوما...الحديث) وتوافق حقائق علم الأجنة الحديث مع هذه الأوصاف الشرعية لأطوار الجنين؛ إذا فالروح تنفخ بعد الأربعين الأولى من عمر الجنين بيقين. لكن متى يحدث ذلك بالضبط ؟ أبعد شهرين أم ثلاثة أم أربعة أو أقل أو أكثر؟ لا أظن أن أحدا يستطيع أن يحدد موعد نفخ الروح على وجه الجزم واليقين في يوم بعينه بعد الأربعين يومًا الأولى! حيث لا يوجد فيما أعلم نص صحيح في ذلك. لكن يمكن أن يجتهد في تحديد الموعد التقريبي استئناسا بقول الله تعالى: ﴿ **ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ** ﴾ [٢].

حيث يمكن أن يفهم منه أن الروح تنفخ في الجنين بعد التسوية ، وبما أن التسوية تأتي بعد الخلق مباشرة لقوله تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ** ﴾[٣] . فيمكن القول بأن الروح تنفخ في الجنين بعد مرحلة الخلق أي بعد الأسبوع الثامن من عمره أي في مرحلة النشأة خلقا آخر؛ وهو استنتاج معظم المفسرين الذين قالوا إن طور النشأة خلقًا آخر هو الطور الجنيني الذي تنفخ فيه الروح والذي لا يكون إلا بعد طوري العظام وكسائه باللحم كما نصت الآية الكريمة. ويعضد ذلك حرف (ثم) الذي يفيد التراخي في حدوث الفعل حينما ذكر مع نفح الروح في حديث جمع الخلق حيث ورد (ثم ينفخ فيه الروح كما في البخاري أو ثم يرسل الملك فينفخ فيه

---

(١) يراجع: حوار الشيخ عبد المجيد الزنداني مع البروفيسور "كيث ل. مور" في موقع "الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة" http://www.eajaz.org/arabic .

(٢) سورة السجدة من الآية ٩

(٣) سورة الإنفطار أية ٧

الروح كما في مسلم) وحيث أنه لا ينتهي الأسبوع الثامن إلا وجميع الأجهزة الرئيسة قد تخلقت وانتهى طور المضغة في الأربعين يومًا الأولى من عمر الجنين وتميزت الصورة الإنسانية وسوى خلق الإنسان خلال هذه الفترة أو بعدها بقليل؛ فعليه يمكن للروح أن تنفخ في الجنين بعد انتهاء عملية الخلق في الأسبوع التاسع أو العاشر أو بعد تميز الأعضاء التناسلية في الأسبوع الثاني عشر أو بعد ذلك! ومما يؤكد ذلك الحقائق العلمية الثابتة في علم الأجنة ومن أهمها رؤية مراحل الجنين المختلفة منذ بداية تكونه، واكتمال خلقه وتصويره وقيام معظم أجهزته بوظائفها ورصد حركته الذاتية و أنشطته البدنية قبل أربعة أشهر على وجه القطع [1].

وبنهاية هذا المطلب يمكننا القول بأن:

هذا الحديث وما تضمنه من أطوار خلق الجنين وزمن تخلقه هو علم من أعلام نبوة الرسول ﷺ ، كما أنه يعد من الأحاديث النبوية التي جاء العلم الحديث والمعاصر موافقا و مقررا لها وهو ما يدفع ادعاء المشككين وأعداء السنة النبوية من تعارض السنة مع العلم الحديث، فالمنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح، وأما ما يتوهمه البعض من هذا التعارض فإنما يرجع إلى عدم ثبوت الحقائق العلمية، أو استشهادهم بأحاديث غير ثابتة(ضعيفة أو موضوعة).

* * * * * *

(١) أطوار الجنين ونفخ الروح للدكتور عبد الجواد الصاوي

المبحث الثالث

الإيمان بالقضاء والقدر، وأثره على الفرد والمجتمع

المطلب الأول

تعريف القضاء والقدر

أولاً: **تعريف القضاء والقدر**:

في اللغة قضى: القضاء: الحكم، وأصله قضاي لأنه من قضيت، إلا أن الياء لما جاءت بعد الألف همزت، والقاضي معناه: القاطع للأمور المحكم لها، وقضاء الشيء: إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق، ومنه القضاء المقرون بالقدر، والمراد بالقدر التقدير، وبالقضاء الخلق كقوله تعالى: ﴿ **فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ...** ﴾[1] أي خلقهن، فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه. [2]

والقدر: القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، فالقدر: مبلغ كل شيء، والقدر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، وهو بسكون الدال وفتحها والقدر: القضاء الموفق، يقال: قدر الإله كذا تقديرا، وإذا وافق الشيء الشيء قلت: جاءه قدره. وَالْجمع أقدار. وقد تكرر ذكر «القدر» في الحديث، وهو عبارة عما قضاه الله وحكم به من الأمور. وهو مصدر: قدر يقدر قدرًا. وقد تسكن داله، ومنه ذكر «ليلة القدر» وهي الليلة التي تقدر فيها الأرزاق وتقضى. [3]

ثانياً: **تعريف القضاء والقدر في الاصطلاح**:

القضاء عند الأشاعرة: هو إرادة الله تعالى للأشياء في الأزل على ما هي عليه فيما لا يزال، وهو من صفات الذات.

أما عند الماتريدية : هو إيجاد الله تعالى الأشياء مع زيادة الإحكام والإتقان، فهو راجع لصفات الأفعال.

والقدر عند الأشاعرة: هو إيجاد الله تعالى الأشياء على قدر مخصوص، ووجه معين أراده الله تعالى فهو عبارة عن الإيجاد عندهم، وهو من صفات الأفعال.

والقدر عند الماتريدية: هو علمه تعالى أزلًا بصفات المخلوقات، وهو عندهم راجع لصفة العلم وهي من صفات الذات.

وعلى هذا يكون القدر عند الأشاعرة حادث والقضاء قديم، والعكس عند الماتريدية.

وخلاصة ذلك: أن القضاء والقدر راجعان لما تقدم من العلم والإرادة وتعلق القدرة، وأنه يجب على المكلف أن يؤمن بأن الله تعالى علم أزلًا بجميع أفعال العباد، وخصص بإرادته سبحانه أزلا هذه الأفعال على

---

(١) سورة فصلت من الآية ١٢

(٢) لسان العرب ١٨٦/١٥ .

(٣) مقاييس اللغة ٦٢/٥ ، ٧٤/٥، مختار الصحاح ص ٢٤٨، جمهرة اللغة ٦٣٥/٣ غريب الحديث والأثر ٢٢/٤ .

وفق العلم، وأنه أوجدها حين أوجدها فيما لا يزال على القدر المخصوص والوجه المعين الذي سبق العلم به وخصصته الإرادة، بل إن ذلك مما لا يتحقق الإيمان إلا به [١] .

فيكون تعلق العلم بالمقدور –أزلًا– تعلق انكشاف لا إجبار فيه، والإرادة تتعلق بالمقدور أزلًا تعلق تخصيص على وفق العلم، فتخصص المقدور ببعض ما يجوز عليه، والقدرة تتعلق بالمقدور تعلق إيجاد وإمداد وإعدام على وفق ما خصصته الإرادة [٢].

والإيمان بالقضاء القدر ركن من أركان الإيمان الستة: الإيمان بالله، والايمان بالملائكة والإيمان بالرسل، والايمان بالكتب، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره. دل عليه قوله تعالى ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾[٣]، وقوله تعالى﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[٤]

قال الإمام ابن كثير [٥]:" يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها" [٦] .

ومن السنة: حديث سؤال جبريل للنبي ﷺ:(**قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»**[٧] .

وعَنْ طَاوُوسٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، يَقُولُونَ كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، قَالَ: وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ –رضي الله عنهما– يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ» [٨] .

قال القاضي عياض:" ويحتمل أن العجز هنا على ظاهره وهو عدم القدرة وقيل هو ترك ما يجب فعله والتسويف به وتأخيره عن وقته قال ويحتمل العجز عن الطاعات ويحتمل العموم في أمور الدنيا والآخرة والكيس ضد العجز وهو النشاط والحذق بالأمور ومعناه أن العاجز قد قدر عجزه والكيس قد قدر كيسه" [٩] .

وعقب أيضًا الحافظ ابن حجر على ما رواه طاووس فقال: "ومعناه أن كل شيء لا يقع في الوجود إلا وقد سبق به علم الله ومشيئته وإنما جعلهما في الحديث غاية لذلك للإشارة إلى أن أفعالنا وإن كانت معلومة لنا ومرادة منا فلا تقع مع ذلك منا إلا بمشيئة الله وهذا الذي ذكره طاووس مرفوعًا وموقوفًا مطابق لقوله تعالى "إنا

---

(١) شرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص ٢٤٠-٢٤١ .
(٢) تحقيق شرح جوهرة التوحيد ص٢٤٢
(٣) سورة البقرة أية رقم ٢٨٥
(٤) سورة القمر آية رقم ٩
(٥) المحدث الحافظ ذو الفضائل عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، صاحب التفسير والتاريخ توفي سنة ٧٧٤هـ (طبقات الحفاظ ص ٥٣٤).
(٦) تفسير ابن كثير ٤٤٦/٧ط دار الكتب العلمية.
(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان :باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة ٣٦/١ ح ١.
(٨) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب القدر باب كل شيء بقدر ٢٠٤٥/٤ ح٢٦٥٥.
(٩) إكمال المعلم بفوائد مسلم ١٤٣/٨.

كل شيء خلقناه بقدر" فإن هذه الآية نص في أن الله خالق كل شيء ومقدره.... ومذهب السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله تعالى [١].

"وعن ابن الدَّيلميّ [٢]، قال: أتيتُ أبيَّ بن كعب فقلت له: وقع في نفسِي شيء من القَدَرِ، فحدّثْني بشيءٍ لعلَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُذهِبَه من قلبي، قال: لو أنَّ الله عذَّبَ أهل سماواتِه وأهلَ أرضه، عذبَهم وهو غيرُ ظالم لهم، ولو رَحِمَهم، كانت رحمتُه خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقتَ مثل أحُدٍ ذهباً في سبيل الله ما قبلَه الله منكَ حتى تؤمنَ بالقَدَر، وتعلَمَ أن ما أصابَكَ لم يَكُنْ ليُخطئَكَ، وأنَّ ما أخْطاكَ لم يكُنْ ليُصيبكَ، ولو مُتَّ على غير هذا لدخلتَ النارَ، قال: ثم أتيتُ عبدَ الله بن مسعود، فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيتُ حذيفةَ بن اليمان، فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيتُ زيدَ بن ثابت، فحدثني عن النبيِّ – ﷺ – مثل ذلك" [٣].

وفي دلالة حديث عبد الله بن مسعود على القدر ذكر الإمام ابن دقيق العيد [٤]: "وفي هذا الحديث إثبات القدر كما هو مذهب أهل السنة، وأن جميع الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره خيرها وشرها نفعها وضرها قال الله تعالى: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[٥] . ولا اعتراض عليه في ملكه يفعل في ملكه ما يشاء. وقد ثبتت الأحاديث بالنهي عن ترك العمل اتكالاً على ما سبق من القدر بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد بها الشرع، وكل ميسر لما خلق له لا يقدر على غيره فمن كان من أهل السعادة يسره الله لعمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة يسره الله لعمل أهل الشقاوة كما في الحديث وقال الله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ... فَسَنُيَسِّرُهُ للعسرى.. ﴾ [٦] .

* * * * * *

(١) فتح الباري ٤٧٨/١١

(٢) هو عبد الله بن فيروز الديلمي، أبو بسر، سكن بيت المقدس ، ثقة من كبار التابعين، (تهذيب التهذيب ٥/ ٣٥٨ ، وتقريب التهذيب ١/ ٥٢٢)

(٣) أخرجه الإمام أبو داود في سننه: كتاب السنة: باب في القدر ٤/ ٢٢٥ ح رقم ٤٦٩٩ . وإسناده حسن، فيه أبو سنان سعيد بن سنان البرجمي صدوق له أوهام، والحديث موقوف من رواية أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، ومرفوع من رواية زيد بن ثابت

(٤) تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، القوصي المصري ، له التصانيف البديعة المفيدة منها إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ،توفى: ٧٠٢هـ (تذكرة الحفاظ ١٨١/٤)

(٥) سورة الأنبياء آية رقم ٢٣

(٦) شرح الأربعين لابن دقيق العيد ص ٣٩

المطلب الثاني

أثر الإيمان بالقضاء والقدر على الفرد والمجتمع

الإيمان بالقضاء والقدر هو الاختبار القوي لمدى معرفة الانسان بربه تعالى وما يترتب على هذه المعرفة من يقين صادق بالله وما يجب له من صفات الجلال والكمال، ومظاهر هذا اليقين ينعكس في سمات الفرد نفسه، وفي علاقته مع مجتمعه، ومن أهمها:

١) الإيمان بالقدر يجعل نفس المسلم مطمئنة راضية بعيدة عن القلق والاضطراب بما يجري عليه من أقدار الله تعالى قال تعالى: ﴿ **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ [١].

٢) الايمان بالقدر يقوي تعلق المسلم بربه سبحانه وتعالى فالمسلم دائم الاستعانة بالله تعالى يعتمد ويتوكل عليه مع فعل الأخذ بالأسباب، **فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ–رضي الله عنهما– ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»** [٢] .

٣) رسوخ الإيمان بالقدر في نفس المؤمن يدعوه ويحفزه ويشجعه على العمل والنشاط والسعي إلى ما يرضي الله عز وجل، وترك الكسل والاستسلام والعجز، فالفهم الصحيح للقدر والأخذ بالأسباب مع التوكل على الله تعالى يدفع المؤمن إلى العمل بما يعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ–رضي الله عنه–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»** [٣] .

قال النووي: "(المؤمن القوي خير) المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا على العدو في الجهاد، وأسرع خروجًا إليه وذهابا في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات، وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك (احرص على ما ينفعك) معناه احرص على طاعة الله تعالى، والرغبة فيما عنده، واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك، ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة، ولا عن طلب الإعانة" [٤]

٤) يسود المجتمع الطمأنينة، والاستقرار وتشيع بين أفراده المحبة والمودة ؛ لأن الانسان يسعى في دنياه بحسن خلقه، واستقامة تعاملاته مع الآخرين لينال مرضاة الله سبحانه في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة الحديد الآيتان ٢٢-٢٣

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه كتاب أبواب صفة القيامة والرقائق والورع باب(بدون عنوان) ٦٦٧/٤ ح ٢٥١٦ وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب القدر باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ٢٠٥٢/٤ ح ٢٦٦٤ .

(٤) مسلم بشرح النووي ١٦/ ٢١٥ .

المطلب الثالث

سبق الكتابة وأثرها في السعادة والشقاوة، وزيادة الرزق والأجل

كتابة الرزق والأجل والعمل والسعادة والشقاوة المراد منها: تقدير ذلك كله، ودل حديث ابن مسعود –رضى الله عنه– على سبق الكتابة في رحم الأم بعد سبق الكتابة في اللوح المحفوظ فهي منقوشة منه، وبيان ذلك: ما روي عن ابن مسعود –رضي الله عنه– أن الملك إذا سأل عن حال النطفة أمر أن يذهب إلى الكتاب السابق ويقال له إنك تجد فيه قصة هذه النطفة **قَالَ: " إِذَا وَقَعَتِ النُّطْفَةُ فِي الرَّحِمِ، بَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا فَقَالَ: يَا رَبِّ ، مُخَلَّقَةٌ أَوْ غَيْرُ مُخَلَّقَةٍ؟ فَإِنْ قَالَ: غَيْرُ مُخَلَّقَةٍ، مَجَّتْهَا الْأَرْحَامُ دَمًا، وَإِنْ قَالَ: مُخَلَّقَةٌ ، قَالَ: يَا رَبِّ فَمَا صِفَةُ هَذِهِ النُّطْفَةِ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ مَا رِزْقُهَا؟ مَا أَجَلُهَا؟ أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: انْطَلِقْ إِلَى أُمِّ الْكِتَابِ فَاسْتَنْسِخْ مِنْهُ صِفَةَ هَذِهِ النُّطْفَةِ قَالَ: فَيَنْطَلِقُ الْمَلَكُ فَيَنْسَخُهَا ، فَلَا تَزَالُ مَعَهُ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى آخِرِ صِفَتِهَا"** [(١)].

كما دل أيضًا على أن في تقدير الأعمال ما هو سابق ولاحق: فالسابق ما في علم الله تعالى، واللاحق ما يقدر على الجنين في بطن أمه كما وقع في الحديث وهذا هو الذي يقبل النسخ.

فالتقدير السابق جاء فيه: عن عبادة بن الصامت"–رضى الله عنه– **قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغْ حَقَّ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِاللهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ مِنْ شَرِّهِ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ. يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " يَا بُنَيَّ إِنْ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ**[(٢)]. فالكتابة الأزلية هي ما سبق في علم الله تعالى وجرى به القلم في اللوح المحفوظ، وهي لا تتبدل ولا تتغير لكونها وفق علم الله تعالى.

وأما ما وقع في صحيح مسلم **عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ–رضى الله عنهما– قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ "**[(٣)]، فالمراد به تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التقدير فإن ذلك أزلي لا أول له[(٤)] .

---

(١) أخرجه الإمام الطبري في تفسيره : سورة الأنبياء ٤٦١/١٦ -٤٦٢، وقال الحافظ ابن حجر: "ما رواه الطبري من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن بن مسعود قال إذا وقعت النطفة في الرحم.... فذكر الحديث وإسناده صحيح وهو موقوف لفظا مرفوع حكما "(فتح الباري ١/ ٤١٩)

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٣٧٨/٣٧-٣٧٩) ح رقم ٢٢٧٠٥ ، وأخرجه الإمام الطبراني في مسند الشاميين: عن أبي الدرداء ٢٦١/٣ ح رقم ٢٢١٤، وقال الحافظ ابن حجر" "وأخرجه الطبراني من وجه آخر بسند حسن عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء مرفوعا مقتصرا على قوله إن العبد لا يبلغ حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه".(فتح الباري ١١/ ٤٩٠)

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٢٠٤٤/٤ ح رقم ٢٦٥٣ .

(٤) مسلم بشرح النووي ٢٠٣/١٦ .

وأما التقدير اللاحق فهو الكتابة في رحم الأم، وهو ما دل عليه الحديث هنا " ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وَأَجَلُهُ، وَرِزْقُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ" فهو موافق للتقدير في اللوح المحفوظ .

ولا يؤثر تقدم الكتابة على العمل، لأن هذه الكتابة بيان لعلم الله تعالى السابق، وأوضح النبي ﷺ ذلك عندما سأله الصحابة –رضوان الله عليهم– عن فائدة العمل مع تقدم التقدير؟، وكذا الاتكال على الكتاب السابق وترك العمل؟ فأجابهم:" **اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَه**" [(١)]، ففي الصحيحين عن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– عن النبيﷺ أنه قال" **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً» قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾** " [(٢)] .

"ففيه أن السعادة والشقاوة قد سبق الكتاب بهما وأن ذلك مقدر بحسب الأعمال وأن كلًا ميسر لما خلق له من الأعمال التي هي سبب السعادة والشقاوة" [(٣)] .

قال الحافظ ابن حجر: "وهو أصل عظيم في إثبات القدر، وقوله فيه "اعملوا" جرى مجرى أسلوب الحكيم أي الزموا ما يجب على العبد من العبودية ولا تتصرفوا في أمر الربوبية" [(٤)] .

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما–: " **فَقَالَ أَصْحَابُهُ: فَفِيمَ العَمَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ صَاحِبَ الجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ»** [(٥)] .

قال الطيبي: "وقوله: "سددوا" اجعلوا أعمالكم مستقيمة على طريق الحق، "وقاربوا" اطلبوا قربة الله وطاعته بقدر ما تطيقونه، وهذا الجواب من الأسلوب الحكيم، أي فيم أنتم من ذكر القدر، وإنما خلقتم للعبادة فاعملوا، وسددوا، وقاربوا" [(٦)].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: تفسير القرآن، باب فسنيسره للعسرى١٧١/٦ ح رقم ٤٩٤٩ ، عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز ، باب: موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله ٩٦/٢ ح رقم ١٣٦٢ ، والإمام مسلم في صحيحه :كتاب القدر: باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله... ٣٩٠٤/٤ ح رقم ٢٦٣٤ .

(٣) جامع العلوم والحكم ١٧٥/١ .

(٤) فتح الباري ٣ /٢٢٦ .

(٥)أخرجه الإمام الترمذي في سننه: أبواب القدر، باب ما جاء أن الله تعالى كتب كتابا لأهل الجنة وأهل النار ٤٤٩/٤-٤٥٠ ح رقم ٢١٤١ ، وقال الترمذي :" هذا حديث حسن صحيح غريب" .

(٦) الكاشف عن حقائق السنن (شرح المشكاة) للطيبي ٥٦٠/٢ .

فأرشدنا النبي ﷺ إلى أننا مكلفون بالعمل، وهو ما نطالب به يوم القيامة وأن من كان من أهل السعادة تتهيأ له الأسباب وييسر لعمل السعادة، والعكس لأهل الشقاوة، وفهم الصحابة– رضوان الله عليهم– ذلك حينما أجابوا الرسول ﷺ بالاجتهاد في العمل: **قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ– رَضِيَ الله تعالى عَنْهُ– يَا رَسُولَ اللَّهِ نَعْمَلُ فِي شَيْءٍ نَأْتَنِفُهُ أَمْ فِي شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ قَالَ: "بَلْ فِي شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ" قَالَ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ: "يَا عُمَرُ لَا يُدْرَكُ ذَاكَ إِلَّا بِالْعَمَلِ" قَالَ: إِذًا نَجْتَهِدُ يا رسول الله"** (١) .

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُمٍ قَالَ: يَا رسول الله، أَخْبِرْنَا عَنْ أَمْرِنَا كَأَنَّنَا نَنْظُرُ إِلَيْهِ، أَبِمَا جَرَتْ بِهِ الأَقْلامُ وَثَبَتَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، اوْ بمَا يُسْتَأْنَفُ؟. قَالَ: "بَلْ بِمَا جَرَتْ بِهِ الأَقْلامُ وَثَبَتَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ". قَالَ: فَفِيمَ الْعَمَلُ إذاً؟. قَالَ: "اعْمَلُوا، فَكل مُيَسَّرٌ". قَالَ سُرَاقَةُ: فَلاَ أَكُونُ ابَداً أَشَدَّ اجْتِهَاداً فِي الْعَمَلِ مِنِّيَ الأَنَ" (٢) .

والسعادة المقصودة في الحديث هي الإيمان، والشقاوة المقصودة هي الكفر .

والاجتهاد في العمل هو من جملة الأسباب التي هي أيضًا من قدر الله تعالى، **فَفِي حَدِيثِ أَبِي خُزَامَةَ ، عَنْ أَبِيهِ،** (٣) **" قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ رُقًى نَسْتَرْقِيهَا وَدَوَاءً نَتَدَاوَى بِهِ وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا، هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئًا؟ قَالَ: «هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ»** (٤) .

قال الإمام أحمد (٥) رحمه الله تعالى: " وهذا هو الأصل في هذا الباب، وهو أن يستعمل هذه الأسباب التي بينها الله تعالى لعباده وأذن فيها وهو يعتقد أن المسبب هو الله سبحانه وتعالى، وما يصل إليه من المنفعة عند استعمالها بتقدير الله عز وجل، وأنه إن شاء حرمه تلك المنفعة مع استعماله السبب فتكون ثقته بالله عز وجل واعتماده إليه في إيصال تلك المنفعة إليه مع وجود السبب " (٦).

---

(١) أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه: كتاب العلم، باب ذكر الخبر الدال على إباحة اعتراض المتعلم على العالم فيما يعلمه من العلم ٣١٢/١ ح رقم ١٠٨ عن أبي هريرة، وإسناد الإمام ابن حبان فيه: محمد بن الحسن بن الخليل (شيخ ابن حبان) لم أقف فيه على جرح أو تعديل، وبقية رجاله ثقات.

(٢) أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه: كتاب البر والإحسان باب ذكر الإخبار عما يجب على المرء من ترك الاتكال على القضاء النافذ دون إتيان المأمورات والانزجار عن المحظورات ٤٩/٢ ح رقم ٣٣٧ .، وإسناد الامام ابن حبان رجاله كلهم ثقات ما عدا شيخه عبد الله بن قحطبة لم أقف فيه على جرح أو تعديل، والحديث قد أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب في كيفية خلق الآدمي في بطن أمه... ٢٠٤٠/٤ (دون زيادة **قَالَ سُرَاقَةُ: فَلاَ أَكُونُ ابَداً أَشَدَّ اجْتِهَاداً فِي الْعَمَلِ مِنِّيَ الأَنَ) .**

(٣) أبو خزامة بن معمر السعدي أحد بني سعد بْن الحارث بن هذيم قضاعي. وقيل: يعمر.، روى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الصحيح ووقع في «الكنى» لمسلم أبو خزامة بن يعمر، وكذا قال يعقوب بن سفيان، وقوّاه البيهقي .(أسد الغابة ٥/ ٢٢٦ ، الإصابة ٨٩/٧)، أما يعمر أوله ياء معجمة باثنتين من تحتها، فهو يعمر قلت: يا رسول الله أرأيت رقىً نسترقي بها، روى عنه ابنه أبو خزامة ابن يعمر(الإكمال في رفع الارتياب لابن ماكولا ٣٣٢/٧)

(٤) أخرجه الإمام الترمذي في سننه: كتاب الطب: باب ما جاء في الرقى والأدوية ٣٣٩/٤-٤٠٠ ح رقم ٢٠٦٥، وقال الترمذي : "هذا حديث حسن"، والبيهقي في السنن الكبرى: كتاب جماع أبواب كسب الحجام: باب إباحة الرقية بكتاب الله عز وجل وبما يعرف من ذكر الله ٥٨٧/٩ ح رقم ١٩٥٩٨ .

(٥) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني ، أبو عبد الله ، الإمام الشهير صاحب المسند ، توفي سنة ٢٤١هـ (طبقات الحفاظ ، ص ١٨٩) .

(٦) شعب الإيمان للبيهقي ٤٢٥/٢-٤٢٦ .

وأن السعيد قد يشقى وأن الشقي قد يسعد لكن بالنسبة إلى الأعمال الظاهرة ، وأما ما في علم الله تعالى فلا يتغير.

وأن الأعمال سبب دخول الجنة أو النار ولا يعارض ذلك حديث "لن يدخل أحدا منكم الجنة عمله" قال الرافعي [١] في الحديث:" أن العامل لا ينبغي أن يتكل على عمله في طلب النجاة ونيل الدرجات؛ لأنه إنما عمل بتوفيق الله وإنما ترك المعصية بعصمة الله فكل ذلك بفضله ورحمته" [٢] ولكن سددوا ومعناه اقصدوا السداد أي الصواب، ومعنى هذا الاستدراك أنه قد يفهم من النفي المذكور نفي فائدة العمل فكأنه قيل بل له فائدة وهو أن العمل علامة على وجود الرحمة التي تدخل العامل الجنة فاعملوا واقصدوا بعملكم الصواب أي اتباع السنة من الإخلاص وغيره ليقبل عملكم فينزل عليكم الرحمة، وقاربوا أي لا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة لئلا يفضي بكم ذلك إلى الملال فتتركوا العمل فتفرطوا" [٣] .

والرزق إن كان قد سبق تقديره لم يغن التعني، والحرص في طلبه، فجعل الله سبحانه وتعالى كتابة الرزق في بطن الأم كالأجل ليكون على يقين أن رزقه وأجله مقدر مكتوب، **فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ –رضي الله عنه–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرِّزْقَ لَيَطْلُبُ الْعَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ»** [٤].

ففي الحديث طمأنينة وضمانة للناس بأنه لا يتحكم في أرزاقهم، وأعمارهم، فيتحقق لهم صدق التوكل على الله عز وجل، وصدق اعتماد القلب على الله تعالى، وكان من عظيم حكمته سبحانه وتعالى أن ربط المسببات بالأسباب، والجميع من عنده تعالى، ومن جملة الأسباب التي اقتضتها الحكمة في دار الدنيا الاكتساب لطلب الرزق، كما جعل التقوى سبب في زيادة الرزق قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴾ [٥] .

وليس هناك تناقض بين كتابة الأجل في هذا الحديث وبين الحديث الدال على زيادة الأجل بصلة الرحم فيما رواه **أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»** [٦] فالمراد بالزيادة في الأجل في الحديث :

- إما مؤولة بالبركة في العمر والتوفيق للطاعات، وعمارة الأوقات بما ينفعه في الأخرة وحاصله أنها بحسب الكيف لا الكم.

---

(١) عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل الإمام أبو القاسم الرافعي صاحب الشرح الكبير على المحرر، انتهت إليه معرفة المذهب(الشافعي) مع براعته في العلم، توفي سنة ٦٢٣هـ (شذرات الذهب ٧/ ١٨٩)

(٢) الأمالي الشارحة للرافعي ص ٢٥١

(٣) فتح الباري ٢٩٧/١١ .

(٤) أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه: كتاب الزكاة: باب ذكر الإخبار عما يجب على المرء من قلة الجد في الطلب ٣١/٨ ح رقم ٣٢٣٨، والبيهقي في شعب الإيمان: باب التوكل بالله عز وجل والتسليم لأمره تعالى في كل شيء ٢/ ٤١١-٤١٢ ح ١١٤٧، ١١٤٨ مرفوعا وموقوفا، وقال:" فذكره موقوفا على أبي الدرداء وهذا أصح"، وقال الإمام الدارقطني في العلل بعد أن أشار إلى روايته مرفوعا وموقوفا: "عن أبي الدرداء موقوفا وهو الصواب " (علل الأحاديث الواردة في الأحاديث النبوية ٢٢٤/٦ ح رقم ١٠٨٩)

(٥) سورة الطلاق من الآيتين ٢-٣

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: البيوع، باب: من أحب البسط في الرزق ٥٦/٣ ح رقم٢٠٦٧ .

- أو المراد بالزيادة بقاء الذكر الجميل بعده فكأنه لم يمت وهو إما بالعلم الذي ينتفع به أو الصدقة الجارية أو الخلف الصالح.
- أو أن الزيادة حقيقية، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر وإلى ما يظهر له في اللوح المحفوظ بالمحو والإثبات فيه {يمحو الله ما يشاء ويثبت} كما أن عمر فلان ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإنه يزاد عليه عشرة وهو سبعون وقد علم الله عز وجل بما سيقع له من ذلك فبالنسبة إلى الله تعالى لا زيادة ولا نقصان، ويقال له القضاء المبرم، وإنما يتصور الزيادة بالنسبة إليهم ويسمى مثله بالقضاء المعلق[1].

وجميع أسباب الزيادة في الرزق والأجل والعمل إنما هي مقدرة مكتوبة معلومة لله تعالى.

ونختم بقول الإمام علي الملا القاري [2]: " بأن ما يجري في العالم من الإيمان، والكفر، والسعادة، والشقاوة من الكليات، والجزئيات بتقدير الله، وإيجاده، إذ لا مؤثر في الوجود إلا الله المتعالي عن الشريك ذاتا وصفة، وفعلا، يفعل الله ما يشاء لا علة لفعله، ولا معقب لحكمه، لا يسأل عما يفعل، ولا مجال للعقل في تحسين الأفعال وتقبيحها، بل يحسن صدورها كلها عنه، والاستقلال للعبد في الأفعال والمدح والذم باعتبار المحلية لا باعتبار الفاعلية كما يمدح الشيء بحسنه والثواب، والعقاب كسائر الأمور العادية، فإن الله أجرى عادته بأن يوجد الأسباب أولا، ثم يوجد المسببات عقيبها، فكل منهما صادر عنه ابتداء" [3] .

* * * * * *

(١) فتح الباري ٣٠٢/٤ ، عمدة القاري ٩١/٢٢ .
(٢) علي بن سلطان محمد الهروي القاري فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره. ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها، وصنف كتبا كثيرة توفي سنة ١٠١٤هـ(الأعلام ١٢/٥).
(٣) مرقاة المفاتيح ١٥٤/١

المطلب الرابع

التحذير من سوء الخاتمة

قال رسول الله ﷺ: "فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا " .

هذا الحديث سيق لبيان أن الاعتبار بالخاتمة، والتحذير من سبق الكتاب، أي المكتوب في علم الله أزلًا، ومنه كتب في صحيفة الإنسان، والمعنى: أن الانسان يعمل بعمل أهل الجنة أي من الأعمال الصالحة والطاعات الاعتقادية، والقولية، والفعلية حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع وفيه تمثيل بقرب حاله من الموت فيتعارض عمله في اقتضاء السعادة والمكتوب في اقتضاء الشقاوة فيتحقق مقتضى المكتوب فعبر عن ذلك بالسبق لأن السابق يحصل مراده دون المسبوق، ولكونه واقعًا عليه.

وهذا ما حذرنا منه النبي ﷺ من سبق الكتاب، وألا يغتر الإنسان بعمله، لأن الأعمال حسنها وسيئها أمارات وعلامات، وليست بموجبات وأن مصير الأمور في العاقبة إلى ما سبق به القضاء وجرى به القدر في الابتداء .

وفي الحديث أن الأقدار غالبة والعاقبة غائبة فلا ينبغي لأحد أن يغتر بظاهر الحال ومن ثم شرع الدعاء بالثبات على الدين وبحسن الخاتمة ، والحث على الاستعاذة بالله تعالى من سوء الخاتمة.

وكذلك أن الانسان يعمل بعمل أهل النار أي من ارتكاب المعاصي والنواهي الاعتقادية، والقولية، والفعلية حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع وفيه تمثيل بقرب حاله من الموت فيتعارض عمله في اقتضاء الشقاوة والمكتوب في اقتضاء السعادة فيتحقق مقتضى المكتوب فعبر عن ذلك بالسبق لأن السابق يحصل مراده دون المسبوق، ولكونه واقعًا عليه، وظاهره أنه يعمل بذلك حقيقة ويختم له بعكسه.

وأن انقلاب الناس من الشر إلى الخير كثير بلطف الله تعالى ورحمته وكرمه، وفتح لباب التوبة وغلق لباب اليأس من رحمة الله فمهما كثرت ذنوب الإنسان مع اسلامه وإيمانه فعليه الرجوع والتوبة إلى الله تعالى.

وأن الاعتبار بالخاتمة، قال ابن أبي جمرة [1] نفع الله به:" هذه التي قطعت أعناق الرجال مع ما هم فيه من حسن الحال لأنهم لا يدرون بماذا يختم لهم ".

والمراد بهذا الحديث أن انقلاب الناس من الخير إلى الشر قد يقع في نادر من الناس لا أنه غالب فيهم، وأما ما قال عبد الحق في كتاب العاقبة إن سوء الخاتمة لا يقع لمن استقام باطنه وصلح ظاهره وإنما يقع لمن في طويته فساد أو ارتياب ويكثر وقوعه للمصر على الكبائر والمجزىء على العظائم فيهجم عليه الموت

---

(١) عبد الله بن سعد بن سعيد أبو محمد الأندلسي المالكي من أشهر مصنفاته جمع النهاية اختصر به صحيح البخاري، وبهجة النفوس توفي بمصر سنة ٦٩٥هـ (الأعلام ٤/ ٨٩)

بغتة فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة فقد يكون ذلك سببا لسوء الخاتمة نسأل الله السلامة، قال الحافظ ابن حجر : " فهو محمول على الأكثر الأغلب"[١] .

لذلك أشار الإمام ابن دقيق العيد إلى هذا المعنى فقال:" فإذًا الأعمال بالسوابق لكن لما كانت السابقة مستورة عنا والخاتمة ظاهرة جاء في الحديث: "إنما الأعمال بالخواتيم" [٢] يعني عندنا بالنسبة إلى اطلاعنا في معنى الأشخاص، وفي بعض الأحوال، وأما الحديث الذي ذكره مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان: أن رسول الله ﷺ قال: "إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار" [٣] فإنه لم يكن عمله صحيحاً في نفسه وإنما كان رياء وسمعة، فيستفاد من ذلك الحديث ترك الالتفات إلى الأعمال، والركون إليها، والتعويل على كرم الله تعالى ورحمته" [٤].

وأن الذي سبق في علم الله لا يتغير، ولا يتبدل، وأن الذي يجوز عليه التغيير والتبديل ما يبدو للناس من عمل العامل، ولا يبعد أن يتعلق ذلك بما في علم الحفظة والموكلين بالآدمي فيقع فيه المحو والإثبات كالزيادة في العمر والنقص، وأما ما في علم الله فلا محو فيه، ولا إثبات والعلم عند الله .

وأن في تقدير الأعمال ما هو سابق ولاحق: فالسابق ما في علم الله تعالى، واللاحق ما يقدر على الجنين في بطن أمه كما وقع في الحديث وهذا هو الذي يقبل النسخ .

كما أشار الإمام النووي إلى من انقلب إلى عمل النار بكفر أو معصية: فقال:

" ويدخل في هذا من انقلب إلى عمل النار بكفر أو معصية لكن يختلفان في التخليد وعدمه فالكافر يخلد في النار، والعاصي الذي مات موحدا لا يخلد فيها كما سبق تقريره ، وفي هذا الحديث تصريح بإثبات القدر وأن التوبة تهدم الذنوب قبلها وأن من مات على شيء حكم له به من خير أو شر إلا أن أصحاب المعاصي غير الكفر" [٥] .

* * * * * *

(١) فتح الباري ٤٨٩/١١-٤٩٠
(٢) سبق تخريجه .
(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب: لا يقول فلان شهيد ٣٧/٤ ح رقم ٢٨٩٨ ، والإمام مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه،١٠٦/١ ح رقم ١٧٩ كلاهما من رواية سهل بن سعد الساعدي
(٤) شرح الأربعين لابن دقيق العيد ص ٣٨ .
(٥) مسلم بشرح النووي ١٩٢/١٦ .

المبحث الرابع

الفوائد المستنبطة من الحديث (١)

اشتمل الحديث على العديد من الفوائد، نذكر أهمها ومنها:

١- أن القسم على الخبر الصدق تأكيدًا له في نفس السامع.

٢- إشارة إلى علم المبدأ والمعاد، وما يتعلق ببدن الإنسان وحاله في الشقاء والسعادة.

٣- أن قدرة الله تعالى لا يوجبها شيء من الأسباب إلا بمشيئته فإنه لم يجعل الجماع علة للولد لأن الجماع قد يحصل ولا يكون الولد حتى يشاء الله ذلك.

٤- إظهار قدرة الله ونعمته ليعبدُوه ويشكروا له حيث قلبهم من تلك الأطوار إلى كونهم إنسانًا حسن الصورة متحليًا بالعقل والشهامة مزينًا بالفهم والفطانة.

٥- تعليم العباد في تدريج الأمور، وعدم تعجيلهم فيها مع كمال قدرته تعالى وقوته على خلق الجنين دفعة واحدة حيث خلقه مدرجًا، فإن الإنسان أولى به التأني في فعله.

٦- التنبيه على صدق البعث بعد الموت؛ لأن من قدر على خلق الشخص من ماء مهين ثم نقله إلى العلقة ثم إلى المضغة ثم ينفخ الروح فيه قادر على نفخ الروح بعد أن يصير ترابًا ويجمع أجزاءه بعد أن يفرقها، وحشره في المحشر للحساب والجزاء.

٧- اقتضاء الحكمة بنقل الجنين في الأطوار رفقًا بالأم؛ لأنها لم تكن معتادة فكانت المشقة تعظم عليها فهيأه في بطنها بالتدريج إلى أن تكامل.

٨- من تأمل أصل خلقه من نطفة وتنقله في تلك الأطوار إلى أن صار إنسانا جميل الصورة مفضلًا بالعقل والفهم والنطق كان حقا عليه أن يشكر من أنشأه وهيأه، ويعبده حق عبادته ويطيعه ولا يعصيه.

٩- أن السعيد قد يشقى، وأن الشقي قد يسعد لكن بالنسبة إلى الأعمال الظاهرة، وأما ما في علم الله تعالى فلا يتغير.

١٠-أن الأعمال حسنها وسيئها أمارات وليست بموجبات، وأن مصير الأمور في العاقبة إلى ما سبق به القضاء، وجرى به القدر في الابتداء .

١١- أن الاعتبار بالخاتمة، نسأل الله تعالى حسنها، ونعوذ من سيئها.

١٢- الحث على طلب الثبات، والاستعاذة بالله تعالى من سوء الخاتمة.

١٣-وفيه أن الأعمال سبب دخول الجنة أو النار؛ لأنه إنما عمل بتوفيق الله وإنما ترك المعصية بعصمة الله.

١٤-أن الذي سبق في علم الله لا يتغير، ولا يتبدل، وأن الذي يجوز عليه التغيير والتبديل ما يبدو للناس من عمل العامل، ولا يبعد أن يتعلق ذلك بما في علم الحفظة والموكلين بالآدمي فيقع فيه المحو والإثبات كالزيادة في العمر والنقص، وأما ما في علم الله فلا محو فيه، ولا إثبات والعلم عند الله .

---

(١) أورت فيها بعض ما ذكره العلماء من فوائد ، بعضها بنصها ،والآخر بتصرف يسير.

١٥-في الحديث تنبيه على أن السالك ينبغي أن لا يغتر بأعماله الحسنة، ويجتنب العجب، والتكبر، والأخلاق السيئة، ويكون بين الخوف، والرجاء، ومسلمًا بالرضا تحت حكم القضاء، وكذا إذا صدرت منه الأعمال السيئة فلا ييئس من روح الله تعالى الطيبة، فإنها إذا بدت عين العناية ألحقت الآخرة بالسابقة.

١٦- لا يحكم لأحد بأنه من أهل الجنة والدرجات، وإن عمل ما عمل من الطاعات، أو ظهر عليه من خوارق العادات، ولا يجزم في حق أحد بأنه من أهل النار والعقوبات، ولو صدر منه جميع السيئات، والمظالم، والتبعات، فإن العبر بخواتيم الحالات، ولا يطلع عليها غير عالم الغيب، والشهادات

١٧-أن التوبة تهدم الذنوب قبلها، وأن من مات على شيء حكم له به من خير أو شر إلا أن أصحاب المعاصي غير الكفر في المشيئة والله أعلم.

١٨-الحث القوي على القناعة، والزجر الشديد عن الحرص؛ لأن الرزق إذا كان قد سبق تقديره لم يغن التعني في طلبه، وإنما شرع الاكتساب لأنه من جملة الأسباب التي اقتضتها الحكمة في دار الدنيا.

١٩-أن الله يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات لتصريح الخبر بأنه يأمر بكتابة أحوال الشخص مفصلة.

٢٠-عدم الركون إلى الأعمال، وترك الالتفات إليها.

٢١-الحث على المسارعة، والمدوامة على العمل الصالح؛ لأن الإنسان لا يعلم متى يحين أجله.

٢٢-حصول اليقين للمؤمن، فيصبر على الشدائد، ويشكر على العافية.

٢٣-العلم بأن الأرزاق والآجال مكتوبة مقدرة يدفع بالسعي فيها بما يرضي الله عز وجل فيتحقق حسن الخلق، واستقامة المعاملات مع الآخرين.

* * * * * *

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله، وصحبه، ومن أتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد...

ففي نهاية هذا البحث أذيله بأهم النتائج التي توصلت إليها:

١- تعميق الثقة بأن هذا الدين بمصدريه (القرآن والسنة النبوية) هو من عند الله تعالى.

٢- تعظيم قدر السنة النبوية، والتمسك بها.

٣- موافقة العلم الحديث والمعاصر لما هو ثابت في السنة النبوية حول زمن تخلق الجنين.

٤- اتفاق العلماء المتقدمين والمعاصرين على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد التصوير، ولا سبيل إلى معرفة وقته إلا بالوحي.

٥- يعد حديث ابن مسعود رضى الله عنه علم من أعلام نبوته ﷺ، ويتجلى فيه الإعجاز العلمي في السنة النبوية.

٦- ترسيخ الإيمان بالقدر في النفوس له آثاره الطيبة والنافعة على الفرد والمجتمع.

وأما أهم التوصيات:

أوصي الباحثين في السنة النبوية بعمل المزيد من الدراسات التحليلية المفيدة حول الأحاديث النبوية –خاصة– المتعلقة بالجوانب العلمية والكونية، وإظهار مدى موافقة العلم الحديث والمعاصر للسنة النبوية، واستثمار ذلك في الدعوة إلى الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * * * * *

فهرس المراجع والمصادر [1]

م	اسم المرجع
	القرآن الكريم – جل من أنزله –
١	أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) تحقيق علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، نشر دار الكتب العلمية ،الطبعة: الأولى سنة النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م
٢	الأسماء والصفات للإمام البيهقي حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي نشر مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م
٣	الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، نشر دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.
٤	أطوار الجنين ونفخ الروح للدكتور عبد الجواد الصاوي رابط الموقع: www.dr-sawi.net/%D٨%A٣%D٨%B٧%D٩%٨٨%D٨%A٧%D٨%B١-%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%AC%D٩%٨٦
٥	أطوار خلق الانسان في الأيام الأربعين الأولى بحث جولي سمسون عبد المجيد الزنداني ، مصطفى أحمد، ضمن(علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة) من أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة المنعقد في باكستان في الفترة ٢٥-٢٨ صفر ١٤٠٨هـ ١٨-٢١ اكتوبر١٩٧٨م www.eajaz.org/arabic/index
٦	الأعلام لخير الدين الزركلي، ط دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م.
٧	الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب لسعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (المتوفى: ٤٧٥هـ) نشر دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان الطبعة الأولى ١٤١١هـ–١٩٩٠م
٨	إكمال المعلم بفوائد مسلم شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل نشر دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م
٩	الأمالي الشارحة لمفردات الفاتحة للإمام عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم ،أبو القاسم الرافعي، تحقيق وائل محمد بكر زهران، نشر مكتبة الفاروق الحديثة– القاهرة طبعة أولى ٢٠١١م

(١) اعتمدت في ترتيب المراجع والمصادر الترتيب الهجائي (الألف بائي)

م	اسم المرجع
١٠	البخر الزخار مسند الإمام البزار لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ت ٢٩٢ نشر مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)
١١	البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن لابن الزملكاني تحقيق د/أحمد مطلوب ود/خديجة الحديثي، نشر وزارة الثقافة– بغداد طبعة أولى ١٩٧٤م
١٢	تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تذمرى، ط دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ.، و طبعة دار الغرب الإسلامي، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م
١٣	التبيان في أقسام القرآن لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي نشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان
١٤	تذكرة الحفاظ للذهبي ، ط دار الكتب العلمية. بيروت–لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.
١٥	تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين نشر دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ
١٦	تقريب التهذيب تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية بيروت.
١٧	تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ
١٨	التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي الأستاذ المشارك في قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م
١٩	التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ) تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث نشر دار النوادر، دمشق – سوريا الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م
٢٠	جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد ،أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

م	اسم المرجع
٢١	جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور نشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م
٢٢	جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) تحقيق: رمزي منير بعلبكي، نشر دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م
٢٣	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبى نعيم الأصبهاني – ط دار الكتاب العربى– بيروت ١٤٠٥ هـ
٢٤	الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند ١٩٧٢م.
٢٥	الروض البسام بترتيب وتخريج فوائد تمام ترتيب أبي سليمان جاسم بن سليمان حمد الفهيد الدوسري نشر دَارُ البَشَائِر الإسْلَاميَّة، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م
٢٦	السنة لأبي بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ) تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني نشر المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٠
٢٧	سنن ابن ماجة محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ت٢٧٥هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى، ط دار الفكر، بيروت
٢٨	سنن أبي داود السجستاني سليمان بن الأشعث ت ٢٧٥هـ، تحقيق: محيى الدين عبد الحميد، ط دار الفكر.
٢٩	سنن الترمذي الجامع الصحيح، للحافظ الترمذي محمد بن عيسى بن سورة ت٢٧٩هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٠	السنن الكبرى النسائي – تحقيق / عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن – ط دار الكتب العلمية – بيروت – طبعة أولى ١٩٩١ م .
٣١	السنن الكبرى للإمام البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

م	اسم المرجع
٣٢	سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣هـ.
٣٣	شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ، ط دار الكتب العلمية
٣٤	شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية لتقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢هـ) نشر مؤسسة الريان الطبعة: السادسة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
٣٥	شرح جوهرة التوحيد للإمام العلامة الشيخ إبراهيم الباجوري، نسقه وخرج أحاديثه محمد أديب الكيلاني، وعبد الكريم تتان، وقدم له وراجعه: الأستاذ عبد الكريم الرفاعي طبعة عام ١٣٩١هـ
٣٦	شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبد الله بن محمد الغنيمان، نشر مكتبة الدار، المدينة المنورة الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ
٣٧	شرح مشكل الآثار لأبى جعفر الطحاوي ت ٣٢٧ هـ - تحقيق / شعيب الأرناؤوط - ط مؤسسة الرسالة ببيروت ١٤١٥ هـ .
٣٨	الشريعة الأجري لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي نشر دار الوطن - الرياض / السعودية ،الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م
٣٩	شعب الإيمان للحافظ البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط دار الكتب العلمية، بيروت طبعة أولى ١٤١٠هـ.
٤٠	صحيح ابن حبان (المسمى التقاسيم والأنواع) لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، ترتيب على بن بلبان المسمى (بالإحسان) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ثانية ١٤١٤هـ-١٩٩٣م
٤١	صحيح البخاري :الجامع الصحيح المختصر من أيام الرسول - صلى الله عليه وسلم - للإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت٢٥٦هـ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط دار ابن كثير، بيروت، طبعة ثالثة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

م	اسم المرجع
٤٢	صحيح مسلم للحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط دار الجيل، بيروت.
٤٣	الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ط دار مكتبة الحياة، بيروت.
٤٤	طبقات الحفاظ للسيوطي، ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ.
٤٥	العلل الواردة في الأحاديث النبوية لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ) تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي. الناشر: دار طيبة – الرياض. الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.
٤٦	عمدة القاري شرح صحيح البخاري لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ) نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت
٤٧	عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته لمحمد أشرف بن أمير بن علي شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ) نشر دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ
٤٨	غريب الحديث للخطابي أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (المتوفى: ٣٨٨ هـ) تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي نشر دار الفكر – دمشق عام ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م
٤٩	فتاوى ابن الصلاح عثمان بن عبدالرحمن أبو عمرو توفي سنة ٦٤٣هـ تحقيق د موفق عبدالله عبد القادر الناشر مكتبة العلوم والحكم عالم الكتب بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ
٥٠	فتح الباري شرح صحيح البخاري لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) نشر مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية.، مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م
٥١	فتح الباري لابن حجر العسقلاني فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ، ط دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ.

م	اسم المرجع
٥٢	الفروق اللغوية للعسكري الفروق اللغوية للعسكري (معجم الفروق اللغوية) المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ .
٥٣	القدر لأبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفاض الفِرْيابِي (المتوفى: ٣٠١هـ) تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور نشر أضواء السلف – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م
٥٤	القضاء والقدر لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر نشر مكتبة العبيكان – الرياض / السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م
٥٥	الكاشف عن حقائق السنن (شرح المشكاة للطيبي) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ) تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي نشر مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض) الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م
٥٦	الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري لمحمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان طبعة أولى: ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م طبعة ثانية: ١٤٠١هـ – ١٩٨١م
٥٧	لسان العرب لابن منظور ، ط دار صادر بيروت.
٥٨	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) تحقيق: حسام الدين القدسي، نشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م
٥٩	مختار الصحاح لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد، نشر المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م
٦٠	مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) نشر دار الفكر، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م

م	اسم المرجع
٦١	مستخرج الإمام أبي عوانة المسنَد الصَّحيح المُخَرّج عَلى صَحِيح مُسلم لأبي عَوانة يَعقُوب بن إسحَاق الإسفرَاييني (المتوفى ٣١٦ هـ) تحقيق: فَرِيق مِن البَاحِثين بكليَّةِ الحَديثِ الشَّريفِ وَالدّرَاسَاتِ الإسلاميَّة بالجَامِعَة الإسلاميَّة نشر الجَامِعَة الإسلاميَّة، المملَكة الْعَرَبيَّة السَّعُودية الطبعة: الأوُلى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م
٦٢	مسلم بشرح النووي المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢
٦٣	المسند الإمام أحمد المسند للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ت٢٤١هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
٦٤	مسند الشاميين لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت طبعة: الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٤م
٦٥	مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي أبي الفضل عياض ت٥٤٤هـ، ط المكتبة العتيقة، القاهرة.
٦٦	المصنف ابن أبي شيبة المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر ابن أبى شيبة ت٢٣٥هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط مكتبة الرشد بالرياض، طبعة أولى ١٤٠٩هـ.
٦٧	المعجم الكبير للحافظ الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة ،الطبعة: الثانية
٦٨	المعين على تفهم الأربعين لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤ هـ) دراسة وتحقيق: الدكتور دغش بن شبيب العجمي، نشر مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، حولي – الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م
٦٩	المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم للقرطبي أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم تحقيق: محي الدين ديب مستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال، سنة النشر: ١٤١٧ – ١٩٩٦م

م	اسم المرجع
٧٠	مقاييس اللغة لابن فارس مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط دار الجيل، بيروت ١٤٢٠هـ.
٧١	النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات، الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، نشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م
٧٢	الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى نشر دار إحياء التراث – بيروت عام ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م
٧٣	حوار الشيخ عبد المجيد الزنداني مع البروفيسور "كيث ل. مور" في موقع "الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة" http://www.eajaz.org/arabic

* * * * * *

فهرس الموضوعات

م	اسم الموضوع	رقم الصفحة
١	المقدمة	٢
٢	اسباب اختياري للموضوع	٣
٣	مشكلة البحث	٣
٤	اهداف البحث	٣
٥	الدراسات السابقة	٣
٦	خطة البحث	٤
٧	منهج البحث	٥
٨	المبحث الأول: دراسة الحديث رواية ودراية	٦
٩	المطلب الأول: تخريج الحديث	٦
١٠	المطلب الثاني : درجة الحديث، ومنزلته	١٠
١١	اولا: درجة الحديث	١٠
١٢	ثانيا منزلة الحديث	١١
١٣	المطلب الثالث : بيان رفع الإشكال الوارد حول الحديث من قوله " فإن أحدكم ليعمل الجنة..." هل هو من كلام الرسول فيكون مرفوعا؟ أم مدرج من كلام بعمل أهل الصحابي ابن مسعود فيكون موقوفا؟	١٢
١٤	المطلب الرابع: المعنى الإجمالي للحديث	١٥
١٥	المبحث الثاني :إظهار الإعجاز في مراحل خلق الجنين	١٦
١٦	المطلب الأول :مراحل خلق الجنين كما وردت في حديث عبد الله بن مسعود	١٦
١٧	أولًا : مرحلة الجمع في رحم المرأة (النطفة)	١٦
١٨	ثانيا: مرحلة العلقة	١٨
١٩	ثالثا: مرحلة المضغة	١٩
٢٠	رابعا: مرحلة الكتابة ونفخ الروح	٢١
٢١	المطلب الثاني :الاختلاف في فهم الحديث النبوي الذي رواه الصحابي عبد الله بن مسعود حول زمن أطوار خلق الجنين	٢٤
٢٢	أولا : ألفاظ الروايات التي اعتمد عليها العلماء في فهم الحديث	٢٤
٢٣	ثانيا: فهم المتقدمين من العلماء للحديث	٢٥
٢٤	التوفيق بين وقت الكتابة في حديث ابن مسعود في الطور الرابع، ووقت الكتابة في حديث حذيفة بن أسيد في الطور الأول	٢٦

م	اسم الموضوع	رقم الصفحة
٢٥	ثالثا: فهم المعاصرين من العلماء للحديث	٣٢
٢٦	المطلب الثالث :أوجه الإعجاز في الأربعين يوماً الأولى	٣٧
٢٧	متى تنفخ الروح في الجنين؟ أبعد أربعين واحدة أم بعد ثلاثة أربعينات؟	٣٨
٢٨	المبحث الثالث :الإيمان بالقضاء والقدر، وأثره على الفرد والمجتمع	٤٠
٢٩	المطلب الأول :تعريف القضاء والقدر، ومراتبه	٤٠
٣٠	المطلب الثاني :أثر الإيمان بالقضاء والقدر على الفرد والمجتمع	٤٣
٣١	المطلب الثالث :سبق الكتابة وأثرها في السعادة والشقاوة، وزيادة الرزق والأجل	٤٤
٣٢	المطلب الرابع :التحذير من سوء الخاتمة	٤٩
٣٣	المبحث الرابع :الفوائد المستنبطة من الحديث	٥١
٣٤	الخاتمة	٥٣
٣٥	فهرس المراجع والمصادر	٥٤
٣٦	فهرس الموضوعات	٦٢